TLS-810.04/01

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

2013
Fac IL Mo2AG

تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ:

أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات

إعداد الطالب:

صطاف فاتح

تحت إشراف:

أ.د. مكي عبد الكريم

السنة الجامعية:

1433هـ/1434هـ -2013/2012

شكر وعرفان

أوجه الشكر لكل الأساتذة واخص بالذّكر الأستاذ المشرف "أ.د. مكي عبد الكريم" على ماقدّمه لي من نصائح وتوجيهات من اجل إنجاح هذا العمل كما نتقدم بجزيل الشكر والإحترام إلى كل من أمدنا يد العون وساعدنا في إنجاح هذا البحث العلمي المتواضع

إهداء

إلى من ربّياني على الفضيلة وسهروا من أجلي اللّيالي وعلّماني كل طهر ونبالة، أمّي العزيزة رمز الحنان وأبي الغالي رمز الصمود حفظهما الله وأطال في عمرهما...

إلى الأخوين" العزيزين رشيد و عمر"، والأختين " أمال وصارة "، وإلى " خولة "...

إلى كل الأقارب والأصدقاء...

وأهدي إليكم جميعا هذا البحث العلمي المتواضع...

مقدمة

مقدمة:

إن الرحلة إلى البلاد الأجنبية كانت على الدوام موضوع درس، وقراءتها ذات أثر تربوي ولقيمتها وللمعلومات التي تقدمها فيما يتصل بتاريخ العادات، وما تنطوي عليه فكرة الرحلة نفسها من مغامرات ومفاجآت قام بها رجال آخرون، أو ينتمون إلى عصور مضت، فالأدب العربي ثري بالرحلات وبالمعارف التي جاءت بها الرحالة من التي زاروها على امتداد تاريخه.

يفسح الأدب المقارن المجال واسعا لدراسة أدب الرحلات لأنها المعين الذي يحتاج منه أي شعب معلوماته عن شعب آخر، فالذين يقرؤون النصوص الأجنبية في لغتها الأصلية حتى بين من يحترفون الأدب المقارن يعدون قلة أما الأغلبية فتكتفي بالترجمة أو بمذكرات الرحالة.

كما تمثل الرحلة برهانا ماديا، على قيام الاتصال المباشر وتؤكد على ما يقدمه هذا اللون من الأدب من حمولة ثقافية، وترسم لنا درجة استعداد البيئة التي عاش فيها الرحالة للتطور على المدى القريب أو البعيد، تبعا لصلاتها مع غيرها أو انفرادها عنهم وتقبلها لأفكار الآخرين مباشرة أو تسربا.

للمهاجرين والرحالة من الكتاب لهم فضل كبير في تكوين هذه الأفكار، فهم الذين ينقلون المشاهد ويشرحونها بما يتفق وميولهم وما يتماشى مع غايتهم، كما تمليه عليهم أحوالهم النفسية والاجتماعية التي سافروا أو هاجروا إليها.

إن الرحلات لاقت بشكل كبير اهتماما كبيرا لفائدتها في اكتساب الوعي الجديد كما أكدت فوائد السفر وعيا باطنيا يشير إلى التشبيه على الحياة والأحياء والتطورات البشرية والاقتراب الصحيح ومعرفة العلماء وما إلى ذلك.

كان الغرب دوما يثير إشكالية أمام الشرق والفكر الإسلامي، فالغرب أخذ يستعيد نشاطه الفكري والبحث من جديد حول الشرق والعالم الإسلامي والفكر الإسلامي بصورة تلفت النظر وتثير الانتباه، فعلاقتنا كشرقيين وكعرب مسلمين مع الغرب هي علاقات متشابكة وصراعات أوكلتها عوامل التاريخ والجغرافيا والدين والسياسة فيا ترى هل كانت هذه العلاقات الشرقية الغربية نتاج المثاقفة بين الحضارات؟ أم كانت بغية إدراج أفكار أمة ما في أدبها عن شعب آخر؟

لقد وضح لنا الرحالة البلد الذي رحلوا إليه وشرحوا لنا رأيهم فيه وتقديم نماذج بشرية فيه كما هو الحال عن الرحالة العرب الذي زاروا إسبانيا، فلم يروا فيها إجمالا إلى جانبها الإسلامي المفقود.

أما منطلقات البحث وغايته مختلفة عن الغربيين في دراستهم للشرق انقسموا على أنفسهم في صياغة نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية اعتبروها نهايات حتمية لا يمكن تغيرها ونظروا لبقية الأجناس البشرية الأخرى على أنها مجموعات متحجرة لا تملك خيارا آخر، سوى الانقياد والانصياع لفلسفاتهم النهائية للتاريخ التي تصورها مثلما أراد.

كل ذلك دفعني لاختيار هذا البحث لمعرفة الاطلاع على الآداب الأخرى وتقديم الرؤية الغربية وأيديولوجيتها التي ظلت قابعة في الفكر الغربي منذ القديم كما أن الدراسات والبحوث في هذا المجال جاءت متعددة الجوانب أنا بصدد الوقوف عند واحدة منها والمتمثلة في "أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات".

نظرا لرغبتي في الغوص في الموضوع والكشف عن خباياه اتبعت المنهج الوصفي وذلك لتوضيح ما رآه الرحالة من البلاد الأخرى وتحليل العقلية الغربية تعرضت في الفصل الأول الذي من خلاله أدب الرحلة إلى المفهوم والأنواع والأغراض والأهمية وقد بينت من خلال مفهوم أدب الرحلة أنواع الرحلات والبنية المردية للرحلة وأهمية الرحلة وأغراضها.

أما الفصل الثاني فتعرضت فيه لدور الرحلات وعلاقته بأدب الصورة والإستشراق المتمثلة في العلاقة بين أدب الرحلة وأدب الصورة، مفهوم أدب الصورة، أنواع الصورة ودور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق، الاستشراق.

أما في الفصل الثالث فتناولت فيه رحلة ابن جبير وابن بطوطة و رحلة المقري وصورة المشرق عند الغربيين والمدينة العربية في عيون الغربيين الأجانب، صورة المشرق عند الانجليز وصورة المشرق عن الفرنسيين وصورة المشرق عند الألمان وخاتمة جاءت فيها حويصلة لأهم النتائج المستخلصة من خلال هذا البحث اعتمدت على بعض المصادر والمراجع أهمها القرآن الكريم، الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، محمد حسين فهيم أدب الرحلات، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، أحمد درويش: الإستشراق

الفرنسي والأدب العربي، بالإضافة إلى بعض المجلات وبعض الرسائل، كما جرت العادة لا يوجد بحث خال من الصعوبات والعراقيل، وفي الأخير لا يسعني إلا تقديم الشكر الجزيل للأستاذ الفاضل "مكي عبد الكريم" الذي كان مشرفا وعونا وسندا لي في هذا البحث.

مدخل

الرحلة و الرحالة

الإنسان و الرحلة

نقدم في هذا المبحث و جهة نظر مفادها أن الرحلة قد ساعدت على اكتشاف موطن الإنسان، أي كوكبه الأرضي، كما أدت بهذا الإنسان أن يدرك مدى إنتشاره في بقاعها، و أن البشر قد سلكوا مناحي مختلفة و تعددت ألسنتهم إلى جانب تنوع طرائق حياتهم .

لقد كان بين الرحالة رجال علم و دين، و كان بينهم أيضا طوافون من هواة السفر و الترحال، و آخرون *** المغامرة، و دفعهم المخاطرة إلى كشف النقاب عن المجهول من الأرض و الناس .

و قد يرى البعض أن من بين من ذكرت أسمائهم من الرحالة الأوروبيين مالا تستحق رحلاتهم الذكر، بل يجب أن تطمس أعمالهم و يبطل التنويه بها في الأدبيات العربية الإسلامية لأن كشوفهم الجغرافية لم تكن سوى فتوح استعمارية، و أن أعمالهم كانت بعيدة كل البعد عن روح الكشف و العلم، بل كانت نواة استعماره الاقتصادي و السياسي و الفكري .

نحن نسعى في ذكر هذه الأسماء إلى إبراز ثلة الرحلة بالكشف بعض النظر عن الدوافع و النتائج لأن اهتمامنا هنا ليس تقييم الرحلات قدر التأريخ لها و إبراز فاعليتها باعتبارها تراثا إنسانيا .

و لعلنا نحظى كثيرا إذا اقتصرنا في الأدبيات العربية و المناهج التدريسية على ما يراه البعض من الأعمال أو صادقا في النوايا و الأهداف[1] .

و ربما تجدر الإشارة هنا إلى أن عدد كبير من الرحالة الأوروبيين قد أسهموا إسهاما إيجابيا بتقديم معلومات مفيدة و معرفة بالشعوب الغير الأوروبية لم تكن متوفرة من قبل، و قد قرأنا في تقديم الشيخ حمد الجاسر لترجمة كتاب "اكتشاف جزيرة العرب" للكاتبة الفرنسية جاكلين بيرين للنتائج الإيجابية لعدد من الرحلات الأوروبية في الجزيرة العربية يقول في هذا الصدد "و قد لا يحتاج القارئ إلى السير معها في ثنايا الكتاب لإدراك الجوانب المهمة من نتائج تلك الرحلات كالكشف عن آثار الحضارة العربية القديمة في جنوبي الجزيرة و الوصول إلى حل الرموز الأبجدية الحميرية (خطا الميسند) حلا أضاف معلومات جديدة عن حلقة كانت مجهولة لدى العرب أنفسهم من تاريخ ذلك الجزء من بلادهم فبرزت بفضل معرفة قراءة "المسند" في أثاره من محافد و سدود و دول تعاقبت الحكم فيه كالدولة "المعنية" و "السبيئة"و "التقبانية"، و "الحميرية" .

[1] محمد حسين فهيم، أدب الرحلة، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ص 11 .

و أيا كانت دوافع الرحالة المعلنة منها و الخفية، فقد اتصف أغلبية الرحالة و لو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة و الوصف و التقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة و صدق، كما حرص معظمهم على التفرقة بين المشاهد و الرواية عند تسجيل معلوماتهم .

هذه كلها سمات قد أصبحت الآن بمثابة قواعد أساسية من منهجية البحث الحقلي في الدراسات الأنثوجرافية، بالنظر إلى أعمال بعض الرحالة القدامى منهم و المحدثين باعتبارهم إنثروجرافين و إن كانوا غير مختصين أو مدربين أساسا هذا النوع من الدراسة في وضعه الحديث .

إن بعض الرحالة الذين نتناول أعمالهم في هذا الكتاب مثل المقدسي و البيروني لم يكن هدفهم الرئيسي الرحلة في حد ذاتها قدر اهتمامهم بوضع مؤلف في تقويم البلدان، كما فعل المقدسي مثل، أو وصف حضارة غير إسلامية كما جاء في دراسة البيروني للثقافة الهندية، إننا نرى في هذه الأعمال، و ما قدمت من مادة *** دليل بارز على قيمة رحلاتهم في تزويد مباشرة بالمعلومات المستمدة من الملاحظة المباشرة، و المعاينة الشخصية عن الأحوال السياسية و الاجتماعية المباشرة و الثقافية للبلدان التي زاروها و أقاموا فيها و عن طبائع أهلها و معالم حضارتهم و هذا يشكل جوهر العمل الأنثروجرافية، وهذا لا يقتصر الأمر على كون هؤلاء الرحالة إنثروجرافيين .

هذا و لا يقتصر الأمر على هؤلاء الرحالة إثنوجرفيين و إنما نجدهم أو نجد بعضهم على الأقل قد برزوا أيضا كأدباء، و إن مادة رحلاتهم قد زخرت بالعناصر الأدبية، هذا و قد درج الكتاب العرب على استخدام عبارة "أدب الرحلات" للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين و غيرهم التي يصفون فيها البلدان و الأقوام و التي يذكرون فيها أيضا أحداث تجوالهم، و دوافع رحلاتهم، و ما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية، أو إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه أو سمعوه، و نظرا لارتقاء في كثير من أعمال الرحالة و بلوغه حدا كبيرا من الدقة علاوة على عملية الأسلوب القصصي السلس و المشرف .

أدخلت أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي و أصبحت قراءة أدب الرحلات متعة ذهنية كبرى، و مع أن مادة الرحلات، كما الكاتب حسني حسين- قد لا ترتقي إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثل: إلا أنه في أدب الرحلات تجتمع أساسا هذه الفنون و موضوعاتها كلها دون أن تضبطه معايير أو أن يخضع لمقاييسها .

و لنكتف هنا الإشارة إلى دراسة عثمان موافي الذي تناول فيها رحلة ابن جبير و رأى أن هذا الرحالة قد نقل لنا صورا راحية و صادقة عن المدن و المجتمعات الإسلامية و أحوالهم النفسيّة و ذلك في القرن السادس الهجري، و في فترة من أدق و أحرج الفترات التي مر بها المشرف العربي الإسلامي و هي فترة الجهاد المقدس ضد الصليبيين بقيادة القائد صلاح الدين الأيوبي كان وصف ابن جبير و تصويره الاجتماعي يصدران عن عاطفة قوية جياشة نحو ما يصف و ما يصور سواء أكانت هذه العاطفة مبعثها الحب و الإعجاب أم البغض و الكراهية و يظهر هذا التلون العاطفي و بشكل واضح في وصفه لبعض المدن التي استردها المسلمون من الصليبيين .

و تلك التي بقيت في حوزتهم و لا شك أن عاطفته نحو المدن التي كانت بأيدي المسلمين، تختلف عن عاطفته نحو المدن التي بقيت في حوزة الصليبيين الأولى عاطفة حب و إعجاب و الثانية عاطفة بغض و كراهية.

و في وصفه للمدن تبرز القيمة المنهجية فنجد كما يشير بذلك حسين نصار في دراسته للرحلة نفسها أن ابن جبير كان يعني في وصف المدن بثلاث نواح: المرافق و المشاهد و الأرياض، و تضم المرافق في خلدة الأسوار و الحصون و المساجد و المدارس و الحمامات و المياه و الأسواق و المنازل و الشوارع و الأبواب و تضم المشاهد المقابر و الموالد، و آثاره الأنبياء و العلماء و الأولياء و المواقع الإسلامية و المعابد و الكنائس و الآثار غير الإسلامية و تضم الأرياض الأحياء و الضواحي هذا و إن لم يصف ابن *** مدينة وفق هذه العناصر إلا أنه تعرض لبعضها تارة و أهمل البعض تارة أخرى، و من جهة النظر الأثنوجرافية فإنها في مجملها تشكل إطارا دقيقا لوصف المدن و البلدان .

نحن نرى في الرحلة نوعا من الحركة و هي أيضا مخالطة للناس و الأقوام و هنا نبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، و لرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان و إثراء لفكره و تأملاته عن نفسه و عن الآخرين، إن الرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا، و إن ما اختلفت دوافع الرحيل و تباينت وسائل السفر و تنوعت مادة الرحلة، و مع ذلك فإن كتابات الرحالة أيا كانت توجهاتهم الفردية و نزعاتهم الشخصية تصور إلى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه كما تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها و أحوال الشعوب التي اختلطوا بها سواء

كانت الرحلة فعلية أو من نسج قصص الخيال مثل رحلات السندباد البحري السبع التي وردت في حكايات ألف ليلة و ليلة .

لقد قرأنا عبارة للفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون كان قد ذكرها في مقال له بعنوان "السفر" و فيها يقول: إن السفر تعليم للصغير و خبرة للكبير قرآنا الإمام الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في عصر محمد علي باشا "أن السفر مرآة الأعاجيب و قسطاس التجارب، و نجده يستطرد القول في تعليقه على كتاب رفاعة رافع الطهطاوي عن رحلته إلى فرنسا (1826-1831) فيكتب: "و قد أودع في هذه الرحلة مؤلفها الأديب الأريب هذا الفاصل الذي اللبيب ما شاهده من عجائب تلك البلاد، و أحوال هؤلاء العباد ما يحرص العاقل على الأسفار و النقل في الأمطار حتى يزداد بذلك علما يقينا و يفوق بالإطاحة بأحوال عباده في الزمن اليسير بما لا يدركه القاطن بدراه و لو عاش من السنين[1] .

[1] المرجع نفسه، ص 15 .

الإنسان و الرحلة

خلق الله الإنسان محبا للحركة و التنقل و أمده بالعقل الذي يدعوه لذلك و الجسم القوي الرئيسي الذي يعينه على الإنتقال من موضع لآخر بحثا –في البداية– عن طعامه و شرابه، هربا من القوى المعادية، و قد بدت له غايته مخيفة، سواء كانت الطبيعة من برق و رعد و عواصف أو فيضانات و زلازل و براكين أو كانت حيوانات ضخمة كالديناصورات و الأفيال أو مفترسة كالأسود و النمور و الذئاب .

فالحركة روح الحياة و هي سمة أساسية في التركيب الجسدي و النفسي للإنسان و قد هيأه *** لها و جعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده و الغاية التي خلق لآجالها، و هي تعمير الأرض و عبادة الله تعالى :

و قد كان الله قادرا على القدرة على أن يهب السيدة مريم الطعام كما و هب لها الولد، لكنّه قال بعضهم حكمته "و هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رِطَباً جَنِيًّا" .

[سورة مريم]

فهل يمكن لأقوى الرجال أن يهز نخلة، بالطبع لا ... و مع ذلك طلب الله من السيدة التي تعاني آلام المخاض أن ترفع ذراعها و تمده إلى جذع النخلة و تحاول هزها و لن تفعل عند حد ينهر عليها التمر ... رطبا جنينا .

تشير كتب التاريخ الطبيعي و الأنثروبولوجيا و غيرها إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة و التنقل، حتى بعد أن تعلم الزراعة و عرف كيف يستقر و يبني و يؤسس المجتمعات [1] .

لقد ظل على مدى العصور و القرون يتطلع بعينة إلى الآفاق البعيدة و لا يكف فيها تضمه من الخلق و الموجودات و فيها تحمله من الدكتور و الخيرات، خاصة حتى تضيق به الحال و يجف الماء و الضرع تضن الطبيعة عليه بما يملأ بطنه و يسعد قلبه .

و هو إلى جاب ذلك مشوق إلى معرفة موضع الشمس الذي منه تشرق و إلى معرفة مسكنها الذي تغرب، و حريص على أن يعرف من أين ينبع النهر الذي يتدفق إلى أرضه و إلى أين ينتهي، و كلما مرت

[1] أنظر فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي [د.ص] الجار العربية للكتاب، ص 10 .

السنون رأى من الدنيا عجبا إثر عجب و جديدا يعقب جديدا، و حديثا ينسج قديما، و هو لا يستطيع أن يفكر أبدا و هو جالس في كوخه أو داره، فما الفكري في هذه الحالة إلى عجلات تدور في موضعها و ليس إلا خطوات تسير في محلها، و هو يريد أن يعرف و دافع الرغبة في المعرفة بلا نهاية، ذاتية و موضوعية، عقليه و نفسية و غيبية أيضا .

لكنه الإنسان في كل الأحوال لا يكف عن السؤال ... كيف و لماذا ؟ و مع تقدم الوعي و تجدد الحاجات تزداد رغبة الإنسان في السؤال و في الانتقال و السفر، و تتنوع الأغراض التي تدفع للسفر .

و إذا كان العالم اليوم قد أصبح قرية صغيرة، فإن العالم في الماضي، كان قرى كثير مبعثرة فوق رقعة هائلة من المعمورة و لم يكن من سبيل لمعرفة الأحوال خارج القرية الواحدة إلا الترحال .

و الحق أن الإنسان منذ أن يولد حتى يموت في رحلات دائبة، *** تعد رحلة من رحم الأم إلى دنيا البشر، و ما وفاته و دفنه إلا رحلة ينتقل فيها من دنيا البشر إلى رحم الأرض تمهيدا لرحلة نهائية و سرمدية تبدأ يوم ينفخ في الصور .

و هناك رحلات أخرى متباينة على طريق العلم من مرحلة إلى مرحلة و على طريق النضج من عمر إلى عمر، و في إطار التشكيل الاجتماعي هناك رحلة الغروبة و الفردية إلى الزواج و تكوين الأسرة، و هناك رحلات داخل الوطن كالانتقال من قبيلة إلى أخرى أو من القرية إلى المدينة أو من البلد و إلى الحضر، و رحلات من داخل الوطن إلى خارجه و تتسع مساحة الحركة و تمتد الرحلة لتصبح رحلة من الأرض إلى القمر و الكواكب[1] .

على أننا في هذه الدراسة نعني بإلقاء الضوء على الرحلات التي تمت فعلا في إطار المكان بوصفه البعد الرئيسي في إنتاج مادة ذات طبيعة جغرافية و إنسانية انعكست بصورة أو بأخرى على رؤية كاتبها .

و من تم يحق لنا أن نتوقف بغير قليل الدهشة أمام بعض الكتاب الذين يعتبرون مثلا رحلات جاليفرلسويفت ضمن أدب الرحلات و هو عبارة عن رواية ترمز احداثها لبعض ما يجري في انجلترا في عصر المؤلف، و لهذا تعد عملا أدبيا روائيا، و ليس لها أية علاقة بأدب الرحلات .

[1] المرجع نفسه، ص 11 .

فليس الأدب الأخير معنيا بالرحلات الخيالية، و لكنه معني أساسا بالرحلة الواقعية ذات المحددات المكانية و الزمانية، سواء جرت على الأرض أو في السماء أو تحت الأرض و في أعماق البحار .

الفصل الأول:

أدب الرحلات المفهوم و الأنواع و الأغراض و الأهلية

مفهوم أدب الرحلات .

أنواع الرحلات .

أغراض الرحلة.

البنية السردية للرحلة .

أهمية الرحلات .

الأهمية المصدرية لكتب أدب الرحلة

1.مفهوم أدب الرحلات :

أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القدم، و هو فن له خصائصه المعينة بل إنه –كما يقول الدكتور "شوقي ضيف" يرفع التي ترى أن الأدب العربي لم يعالج فن القصة[1] لأن الحديث عن الأمم و البلدان و وصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة، و يقصدها إنما هو بصورة ما لون من ألوان القص.

و الواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة و الفينيقيين و الرومان و إلى الإغريق، ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق و اشتهر منهم كثيرون مشرقا و مغربا آمال ابن جبير و "ابن بطوطة"، و "الإدرسي"، و "العبدري"، و "العياشي"، و غيرهم نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة و شاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب، و قد اعترف كثير من الباحثين الأجانب بفضل الرحالة العرب و نهوا بقيمة رحلاتهم من حيث مادتها و أسلوبها و طريقة عرضها .

و يمتاز أسلوب الرحلات عامة بالتسجيل و الوصف الإنشائي التعبيري و يعتمد علة الملاحظة الدقيقة المباشرة أو على الخيال حتى يكون الوصف للطبيعة أو الكون، و غيرها مما ينفعل به الأديب الرحالة فيلونه بشعوره و إحساسه و يعطيه من نفسه الشيء الكبير.

.. ليس من لزم جهة وطنه و قنع بما نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمى قسم عمره على قطع الأقطار و وزع بين أيامه تقاذق الأسفار و استخراج كل دقيق من *** و إثارة كل نفيس من مكهنة .

أبو الحسن مسعودي ـ

[1] د. عبد الله ركيبي، تطور النشر الجزائري الحديث، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار العربية للكتاب، ص 44 .

2.أنواع الرحلات :

يمكن تقسيم الرحلات إلى قسمين: رحلات واقعية و رحلات خيالية[1] .

2.أ.رحلات واقعية :

و هي رحلات فعلية قام بها الرحالة لغرض من الأغراض و هي ذات قيمة عظيمة لما تسجله من حقائق في الجوانب التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الجغرافية، و من أشهر الرحلات الفعلية الرحلة إلى الحج كانت إحدى أهم الرحلات التي تقوم بوازع ديني، فالحج كما نعرف فريضة واجبة، كان يستغرق من الشهور إلى السنين إلى السنوات قديما لبعد المسافات كانت تجمع بين الوازع الديني و الروحي و المعرفي و قد يرى البعض أن العنصرين- الديني و المعرفي- لا يلتقيان – غير أن الرحلات القديمة في عالمنا في الشرق كانت تشير إلى نجاح هذه الرحلة و الشائع في بلاد المغرب للرحلة هو ذلك الذي تكون له دوافع روحية و يستهدف في زيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم و رواية الحديث و مثل هذه الرحلة يرتبط بثلاثة مشاهد أساسية، فالأول مشهد الخروج حيث يكون الخارج ضمن ركب منظم يرأسه شخص عارف الطريق[2] يوصف عادة بالتقوى و الأمانة و الحنكة و حسم الأمور و يأتي ذلك مشهد المسير ثم مشهد الوصول و لكل مشاهد طقوسه و مدوناته و أحداثه و أدبياته، و من أشهر هذا النوع من الرحلات رحلة ابن فضلان رحلة ابن بطوطة، رحلة ابن جبير، الغرناطي و ابن رشيد العبدري .

2.بـ.رحلات خيالية :

و قد تظهر أبرزها في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة و تتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي و أخرى ذهنية للعالم متخيل ينجح إلى صوغ أفكار و تأملات معينة تتماشى مع المقولات و التطورات الصوفية و الفلسفية و الدينية التي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع وصولا إلى المطلق و اليقين و من أشهر الرحلات المتخيلة رحلة ابن شهيد "الوابع و التوابع"، و رحلة المعري "رسالة الغفران" و رحلة "ابن طفيل" حي بن يقظان .

---

[1] الداية محمد رضوان انتقلت، المرجع نفسه، ص 27 .

[2] مصطفى عبد الغني، جسر الحمرات من أدب الرحلات، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2004، ص 19 .

و قد يكون الدافع للرحلة مزدوج الأغراض بحيث أن الرحلة التي تؤهله مواهبه العلمية و تتمكن فيه غزيرة حب الإطلاع بقصد لتسجيل معلومات عن البلاد التي يزورها .

3.أغراض الرحلة :

تتعدد الدوافع التي تمس الإنسان للرحلات و تختلف من شخص لآخر و من قوم و من عهد لعهد إلا أنها في الأغلب لا تخرج على أن تكون .

أ.دوافع دينية :

و تكمن في أن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان و توبة، و تطهير للنفس من دنس الذنوب و عهد للسير على المستقيم أو ملا في المغفرة فمن قبيل ذلك التبشير بالدين أو زيارة المقابر .

ب.دوافع علمية أو تعليمية :

بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبناءها في مجالات العلوم كالفقه و الطب و الهندسة و العمارة و غيرها و نذكر كتب الحديث و السير أن الفقهاء و العلماء من كان يقطع القفار و يعبر الأنهار طلب لحديث بنوي يسمع به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، و قد فعل ذلك عبد الله بن عباس و الغزالي و ابن منده و الأحنف العكبري الشاعر، و لا نملك لمثل هؤلاء حصرا فما أكثرهم و من قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية و الكشوف الجغرافية .

ج.دوافع سياسية :

و تتمثل في الوفود و السفارات التي يبحث بها الملوك و الحكام إلى ملوك و حكام الدول الأخرى لتبادل الرأي و توطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب و السلام أو تمهيد لفتح أو غزو[1] .

د.دوافع اقتصادية :

للتجارة و تبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى تندر في بلد المسافر و قد يكون هربا من الغلاء و سعيا وراء الرخص كما كانت تجوب الأقطار هنا و هناك لتعود إلينا بروايات و حكايات .

---

[1] أنظر فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، (د ط)، دار العربية للكتاب، ص 10 .

و.دوافع صحية :

تتمثل في السفر للعلاج أو الاستشفاء أو راحة النفس من ألوان العناء و تخليصها من الكدر كالإرتحال و تنذر في بلد المسافر و قد يكون عربا من وباء أو طاعون أو تلوث .

ي.دوافع أخرى :

هناك أسباب للارتحال كالسخط على الأحوال أو الهروب من العقوبة مهما كان غرض الرحلة فإنها في أغلب الأحيان تعتبر سلوك إنساني يؤتي ثماره النافعة على الفرد و الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها .

فهل أن يجوب البلاد قبل الفتح هي ما بعده ؟ و "ابن بطوطة" قبل أن يجوب البلاد و يطوف بالأمطار شرقا و غربا ليس هو نفس الرجل الذي أب إلى وطنهنّ و جلس في مقعد العلم و قضاء يملي خبرته و تجاربه و يقال مثل ذلك عن ابن خلدون و ابن جبير و ابن حوقل و المقدسي و الإدريسي و غيرهم و كان *** و يقول:

"يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب طال مقامه في موضع تغير" .

و ليس من شك أن السفر جامعة تحمل بالدروس و العبر، و تحتشد بالعلم و المعرفة و تحتشد العقل و الوجدان و تزيد في الفهم و الإدراك، و تصقل الشخصية بفضل قساوة التجربة و حرارة المواقف و رهبة المغامرة و طلعة الجديد في كل شأن و مواجهة المفاجآت و تحمل مشاق الغربة و السفر و الإطلاع على الطبائع المختلفة و الاعتناء على الغريب و التمرس بمعاملته .

أما التدرب على استعمال مفاتيح اللغة الجديدة، فهو المعين على كشف حجب المجهول من الأقوال و الأحوال، و لم يعد الكاتب الفرنسي سافاري الحقيقة عندما قال: "إن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان"، و من تمّ تصبح الرحلة اليد التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن شعوب و أقواما إلى أقوام تفصل بينهما البحار و القفار و سبحانه من قال :**"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"** .

[سورة الحجرات الآية 13]

هذا هو السرد إذ أن الله حتى بعد أن هبط آدم و حواء إلى الأرض لم يتركها منزلا واحدا ليبحث كل واحد منهما عن الآخر و يلتقيان، و الشعوب لم تخلق في موضع واحد و ركن الله فرقها و يبث بينهما المسافات، و غرس في الجميع في الوقت ذاته فطرة للتعارف و اللقاء .

كما يشير إلى هذا المعنى تقريبا صلاح الشامي .

إن سعي الإنسان على قدميه و تحمل مشقة السفر ينتج حس فطري و تأسيس على استفسار هذا الحس الفطري، نجد الإنسان على قدميه و تحمل و اجتهد لكي يبتكر الوسيلة أو الوسائل لكي يستخدمها في الرحلة و لكي توسع دائرة انتفاعه بالرحلة، و لكي تؤمن سرعة تحرك الرحلة في الذهاب الذي حيث تريد و تتطلع أو في الذهاب و الإياب لحساب حركة الحياة و استجابة لمصالحها .

فإن الرحلة هي سر وحدة البشر و هي السبيل إلى عصر وسائل الاتصال الحديثة التي تجاوزت حد التصدر و التي مكنته في أيامنا هذه و هو داخل جدران بيته أن يحصل على كل ما ينبغي و أيا يرى أي مكان على الأرض و في السماء و في أعماق البحار .

لذلك فإن الرحلة لا تقتصر على صقل الشخصية أو كشف المجهول لكنها تجود بالمكاسب العلمية و الأدبية التي قد يتغير حصرها خاصة إذا كان الرحالة ممتعا بقوة الملاحظة و شهوة التطلع و يقظة الحواس و حب المحاورة و الرغبة في التحصيل و الحرص على التدوين و التسجيل .

4.البيئة السردية للرحلة :

تقوم الرحلة بنيتها السردية على عناصر مختلفة تتمثل في الحدث اللغة، الراوي، الزمان، المكان[1] .

4.أ.الحدث :

هو العمود الفقري لمجمل العناصر القيمة، يشكل الحدث في الحكاية كما الفعل في الجملة المركز الذي تنتظم حوله شبكة من العلاقات أو توزيع للأدوار من جانب يتمتع الفعل في الجملة بخصائص هذه المجموعات في الحكاية و هو في الرحلة مستمد من الحياة دون أن يحذف شيئا أو أن يزيد عليه[2] .

[1] فتحي عامر (نقلته) عائشة و يحي، المرجع السابق، ص 28 .
[2] العربي إسماعيل (نقلته)،المرجع السابق، ص 28 .

4.بـــ.اللغة :

هي الوسيلة الوحيدة من وسائل التعبير المتاحة للفصاص أو الراوي، إذ يلجأ هذا الراوي لنقل حكايته إلى الآخرين و كلما كانت اللغة لدى الكاتب وسيلة كان أسلوبه بسيطا يجعله ذلك في متناول شرائح واسعة من المثقفين و يمكنهم من التجاوب معه و يسهل عليه تمرير رسالته أو خطابه[1] .

4.جـــ.الراوي :

و هو المرسل الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي له أي القارئ و الراوي الذي نجده في الرحلة هو الراوي الشاهد الذي يمكن مقابلته بالكاتب في الدراسات التقليدية حيث يكون صوت المؤلف وراء ستار اللغة و هنا يهيمن الراوي على مختلف جوانبه الشخصية إلا أن صاحبا "أدبية الرحلة في رسالة الغفران" يفرقان بين الراوي و الكاتب والراوي كائن شاهد على وقوع القصة فيرونها و في الواقع هذه التطورات في اعتبار الراوي هوية أدبية لا يعيش إلا مع النص و به أما الكاتب فهو اجتماعية تمارس و جودها خارج ذلك النص رغم أنه منتجه .

و الراوي يقوم بوصف الأحداث الرئيسية و يحكم بكل الأشياء و العناصر الذي تحكم حياة الشخصيات سواء كانت مادية أو معنوية دون الحاجة إلى الظهور على مسرح الأحداث و للراوي وظائف مختلفة: و وظيفة إفهامية و تخص حوار الراوي و القارئ و وظيفة تأثيرية تتصل بالنواحي الوجدانية و الفكرية و وظيفة استشهادية تبيّن مصادر أخبار الراوي و مدى دقتها و وظيفة إيديولوجية يرمى إلى الراوي إلى تحقيقها إقناعا أو نقدا، و يمكن تلخيصها في ثلاث وظائف أدبية جوهرية و هي وظيفة سردية (قصة الأفعال) و الثانية وظيفة وصفية (قصة الأحوال) و الثالثة وظيفة تنظيمية[2] .

4.د.الزمان :

يبني التصوير الراوي على مكونين مكون سردي عماده الزمان و مكون وصفي عماده المكان و في الحق يشترك المكان و الزمان في أنهما إطاران للأحداث غير أن الزمن يمتاز بأنه متلبس بالحدث ذهنيا أو نفسيا

[1] بركات وائل (نقلته)، المرجع السابق، ص 32 .
[2] المرجع نفسه، ص 32 .

أو ماديا أو جغرافيا أو واقعيا، فالزمن هو الحدث و هو مداه و هو نسقه و يرى *** أن فضية الزمن في السرد إنما تطرح بسبب التفاوت الحاصل بين الحكاية[1] .

و زمن الخطاب و عين ثلاثة أصناف من الأزمنة هي: زمن الحكاية و زمن القراءة و أزمنة داخلية .

زمن الحكاية :

و هي زمنية تتمحص للعالم الراوي المنشأ و هي الفترة الزمنية المتصورة .

زمن الكتابة :

و يرتبط بالفعل الذي يحقق القصاص عبر تصور زمن لحكاية في الخطاب .

زمن القراءة :

و هو الزمن الذي يصاحب القارئ و هو يقرأ العمل السردي .

4.د.المكان :

يختل المكان أهمية كبيرة على غراء الزمان و يستحيل تناول دراسة تنصب على عمل سردي دون أن ينشأ عن ذلك المفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره و نظرا لارتباط المكان بتقنية الوصف الزمانية يمكن أن يجيء المكان عنصرا تابعا للزمان الروائي على ذلك لا يقلل من أهميته في شيء .

5.أهمية الرحلات :

إذ فلنا أن فنا من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو إلى أخرى من نواحي الحياة، فإننا نقول أن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ و الجغرافيا و علماء الاجتماع و الاقتصاد و مؤرخي الآداب و الأديان و الأساطير .

فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، و هي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة و مفاهيم أهلها على مصر العصور .

[1] المرجع نفسه، ص 32 .

فالرحالة و هو يطوي الأثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعها أحيانا و ينقلها في حلة، و لا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم و في درجة اهتمامهم و في نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم و أمانهم و في تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون لها .

و مع ذلك فإننا ننظر من هذه الناحية إلى الرحلات كمبدأ و ككل، مهما كان للرحلات قيمتان عظيمتا: قيمة علمية و أخرى أدبية .

أما القيمة العلمية، فقد تأتت لها مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها، مما يدوونه الرحالة تدوين المعابن في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة و بالناس و بالحياة خلال رحلته، فإن الرحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات ليضعها بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع مثل كل بحسب اختصاصه[1] .

و أما القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها عالم الأدب، و ترقى بها إلى مستوى الخيال الفني و برغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف و غيره فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى مما حدا بالدكتور "شوقي ضيف" إلى اعتبار أدب الرحلة بغنى موضوعاته، في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو و العبث اللفظي و التكلف في تزويق العبارة إيثارا للتعبير السهل المؤيد للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه، مما يفتقده كثير من الأدباء و المحترفين في بعض عصورنا الأدبية، و لا يعني هذا أن الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات و العيوب الأسلوبية الأخرى .

فهو يعتمد السجع أحيانا، و هو ينحو منحى الجفاف و الصرامة العلمية أحيا خاصة في تناوله للموضوعات العلمية و مع هذا يظل مشوبا في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة و الإخضرار بقيانه غضا و على شيء من اللين، "فلقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه و غنى مادته، فهو تارة علمي و تارة شعبي، و هو طورا واقعي و أسطوري على السوء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب" .

[1] أنظر: د. حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، ص 18 .

و بهذه المميزات و الخصائص المتعلقة بأسلوب أدب الرحلة و بموضوعه الشمولي الغني بما فيه من علوم و أدب و خرافة و أسطورة يمكننا اعتباره بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثل ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون و موضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها[1] .

الأهمية المصدرية لكتب الرحلات :

إن كتب الرحلات و الجغرافيا تشكل مصادر لأي باحث يهتم بحضارات و ثقافات مختلفة فإذا كانت كتب الجغرافيا من المصادر الأساسية في البحث عن التاريخ لأسباب معروفة أهمها أن الباحثين القدامى لا يكادون يميزون بين التاريخ و الجغرافيا .

فإن الرحلات العلمية القائمة على المشاهدة و المعاينة أكثر إفادة لأنها تعرب من الواقع المراد دراسته .

نعتقد أن دراسة الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في العصر الوسيط عموما. تمر بالضرورة من كتب الرحلات و الجغرافيا، كما أن تصنيف مادتها و دراستها بشكل معمق من شأنه أن يدفع إلى الأمام بالدراسات التاريخية، و يكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن كتب الرحلات العلمية ساهمت إلى حد كبير في تطوير الدراسات الانثولوجية و الأنثروغرافيا تجدر الإشارة إلى أن العالم الإسلامي الوسيط عرف رحلات علمية متعددة على امتداد رفعته شرقا و غربا .

و ذلك عكس أوروبا الفدرالية باستثناء الرحلات التجارية الجماعية على حدود القرن الرابع عشر ميلادي .

[1] المرجع نفسه، ص 11 .

الفصل الثاني: أدب الرحلات دوره و علاقته بأدب الصورة و الاستشراق

العلاقة بين أدب الصورة و أدب الرحلة

مفهوم أدب الصورة

أنواع الصورة

الصورة السلبية

الصورة الإيجابية

دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق

الاستشراق

1.العلاقة بين أدب الرحلة و أدب الصورة :

"يندرج موضوع الصورة ضمن الدراسات المقارنة التي تشكل فضاء خصبا للأدب الرحلات الذي يهتم بتسجيل الانطباعات و نقل صورة عن عاداته و قيم الشعوب التي قام بزيارتها الرحالة[1] فالرحلات إذن تساهم في تشكيل صورة الأمة في أدب أمة أخرى و هي تكشف بذلك عن طبيعة العلاقة التي تسود بين الأمم و الشعوب فلا شك أن حالة العداء تخلق (للآخر) صورة سلبية تسعى الأمم لتبريرها، و يجمع مفرداتها من عناصر شتى و في هذه الحالة يجري اختزال (العدو) إلى صورة نمطية يجري التعبير عنها بكثافة و دقة، أما حالة الإعجاب فتثير صورة إيجابية مشرقة يجري بناؤها من عناصر متباينة تمثل في مجموعها الحالة الفكرية و السياسية و الاجتماعية، التي صدر عنها ذلك التصور[2] .

2.مفهوم أدب الصورة :

إن تحديد ماهية الصورة تحديدا دقيقا صعب لأن الفنون بطبيعتها تكره القيود، نحن نتحدث عن أدب الصورة يكون لزاما أن نشير إلى أن الصورة لا تعني فقط ذلك الشكل الجسدي، و إنما أيضا ما يتعلق بالفكر و الأدب و الفلسفة .

الصورة كلمة عربية معرفة بالألف و اللام (ال) في أولها، و مؤنثة تأنيثا أصليا لا إضافيا شأنها في ذلك شأن العديد من الكلمات مثل: إمرأة، مملكة، حديقة، لا يمكن حذف تائها، و هي مشتقة من الفعل الماضي (صور) الذي مضارعه و مصدره (تصوير) و الصورة لغة تعني :

أ.الشكل لقوله تعالى: "فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" .

بـــ.أما الفعل صور يعني إعطاء الشيء شكلا معنيا: قال تعالى: "صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ"[3] .

---

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة و دار الثقافة، ط5 ، بيروت، ص 419 .

[2] د. يوسف بكار و د.خليل الشيخ الأدب المقارن، القاهرة الشركة العربية المتحدة و التوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، 2008، ص 210، الوحدة السابعة .

[3] القرآن الكريم، الآية 08، سورة الإنفطار .

جـــ.و أما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني: فالتصور إذا عقلي أما التصوير فهو شكلي "إن التصور هو العلاقة بين الصورة و التصوير و إداته الفكر فقط، و أما التصوير فأداته الفكر و اللسان و اللغة[1] .

اصطلاحا :

الصورة هي أداة الخيال، و وسيلته، و مادته الهامة التي يمارس بها و من خلالها فاعليته و نشاطه .

إن طبيعة الإنسان الفطرية و التي جبله الله عليها الانفتاح على الآخر ليلبي حاجاته المعيشية من أكل و شرب و تنمية قدراته المعرفية من علم و دين و يعد هذا السبب من أحد العوامل الرئيسية في ظهور بوادر أدب الرحلات، و قيامه فيما بعد كفن مستقل بذاته .

3.أنواع الصورة :

هناك نمطين من الصورة يشكلهما أدب الرحلة .

الصورة السلبية :

"من بين الرحلات التي أسهمت في بناء صورة سلبية ذات أبعاد نمطية للشرق العربي رحلة أدوار دلين edward lane التي أدرجها سنة 1836م أقام لين بمصر خمس سنوات، و قد حرص أدوار دلين المستشرق، المشغول بعوالم "ألف ليلة و ليلة" عن نقل الصورة المثيرة التي تؤكد التماهي بين عالم الخيال و الواقع و ترضي نزعة الغربيين في البحث عن الصورة المثيرة" .

و خلاصة هذه الرؤية يتمثل في "أن الشرق مملوء بالظواهر الشاذة التي ليس بمقدور اللغة التعبير عنها لأنها في غاية المجون و العنف .

و عندما يتحدث عن النموذج المصري المعاصر فإنه يعطي مثالا بالمتصوفة الذين يبقرون بطونهم و يخرجون أمعائهم، ليعرضوها على الحضور من أجل التسلية، ثم يتحدث عن إباحية النساء في مصر فقد حظيت المرأة من حديثهم بصفحات طويلة فالغربيون لا يرون فيها غير تخلفها و يعتبرون أنها لا يقام لها وزن و أنها أداة لا يرعى بها شأن و لا يحفظ لها حق، فقد وصفوا قصور الأغنياء الأمراء و جرى بهم الخيال بعيدا و كان

1 مجلة الرسالة م ج 2 السنة 2، ع 64/24/09/1934، 1756 جابر عصفورة الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، ط 3، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1992، ص 14 .

موضع استملاحهم و مثار سخريتهم وصف تلك القطعان من نساء بيض يرعاهن سود، لهم عليهم سلطان مطلق في الحراسة[1] .

و قد خلص أدوار دلين إلى إصدار أحكام على المصريين بأنهم سريعو الغضب و عنيدون، جشعون، لا يعرفون الصدق .

و قد تكررت هذه الرؤية عند رحالة آخر، هو ريتشارد بورتوت Burton Richard الذي تنكر في زي أمير فأرسى من انجلترا إلى مصر سمى نفسه (الشيخ عبد الله) و ادعى أنه أفغاني ثم ذهب إلى الجزيرة العربية و تكمن من أداء فريضة الحج و قد تأثر بروتون في رؤيته إلى الشرق بألف ليلة و ليلة التي ترجمها كما فعل لين إلى الانجليزية، غير أن إحساس بروتون بقيود المجتمع الانجليزي دفعه إلى البحث عن آفاق تمارس فيها قدرا واسعا من الحرية، فعاش جنديا في الهند و تحرك في البلاد العربية، يجمع بين الزي الشرقي و الرؤية الأوروبية و يقدم رؤية تخدم صناع الانجليز فيما يخص هذه الشعوب ذات المستوى الثقافي البدائي، لقد رسم بورتون صورة سلبية ماجنة للمرأة الشرقية لا يعرف مقدار علاقتها بالخيال، في "ألف ليلة و ليلة"[2] .

"و يخلص إلى توكيد صورة الشرق للقارئ الأوروبي حيث يقول: "إن ما مر بي من أحداث، و تعاملي الطويل مع العرب، و غيرهم المحمديين و حسن معرفتي ليس فقط بمصطلحاتهم، بل بطريقة تفكيرهم، كل ذلك أعطاني بعض الميزات عن الدارس العادي، مهما كان متعمقا في دراسته، و إن من يضم ما كتبه بل أكثر مما يعرف أوروبيون عديدون أمضوا نصف حياتهم في بلاد الشرق .

فقد تكررت هذه الصورة في كتابات لورنس (المعروف بلورنس العرب) في كتابه "أعمدة الحكمة السبعة" يرسم لورنس للعرب صورة نمطية تؤكد الرؤية السابقة، يقول: "إن عقولهم غريبة و مظلمة، مليئة بالكآبة و الشعور غير السوري بالأهمية، عقول تفتقر إلى الهداية، لكن فيها من الحماسة و الخصوبة في الإيمان أكثر من عقول الناس أجمعين[3] .

ثم يخلص إلى أن العرب "دوغماتيون، بسطاء، سطحيون، ضيقو الأفق" .

---

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، أصوله و تطوره و مناهجه، سبق ذكره، ص 314، أنظر .
[2] يوسف بكار، ص 214، سبق ذكره .
[3] المرجع نفسه، ص 213 .

الصورة الإيجابية :

"لقد كان الاحتكاك بين العرب و الغرب في العصر الحديث يأخذ طابع الرحلة إلى باريس و بالطبع فإن هذه المدينة الساحرة رسمت لنفسها صورة إيجابية في رحلات من زوارها و فتنوا بجمالها" .

"فقد أقام الطهطاوي في باريس منذ عام 1826 حتى عام 1831 و سجل مضاهداته في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، كما أقام الشدياق في باريس مدة سنتين، سجلها في كتابه "الساق على الساق فيما هو الفارياق" .

أما فرانسيس المراش المراش فقد سافر إلى باريس عام 1866م و أقام فيها سنتين و في المرحلة كتب "رحلة باريس" و سافر أحمد زكي باشا إلى باريس، فكتب "السفر إلى المؤتمر "سنة 1900 و كتب محمد كرد علي كتابه " غرائب الغرب" إثر رحلته إلى هناك سنة 1910 .

لقد تنوعت هذه الرحلات لكنها أجمعت كلها على رسم صورة إيجابية الملامحو الأبعاد، يمكن تلخيصها فيما يلي :

الربط بين باريس و الجنة :

لقد اتخذت المدينة ملامح إيجابية مطلقة بينها و بين الجنة، و لعل المراش يسجد في "رحلة باريس" هذا الرابط عندما قال :

باريس يا جـــنة هذا العـــصر عروسة الدنيا و عرس الدهر

إليك تجري الناس مجرى النهر فأنت في الأرض محل البشـــر

الربط بين باريس و فكرة التقدم :

إذا كان الربط بين باريس و بين الجنة مكانيا فإن الربط بين باريس و فكرة التقدم فلسفي الأبعاد، و قد تجلت هذه الفكرة في حديث طه حسين عنها في "الأيام" و في "من بعيد" مثلما تحدث توفيق الحكيم عنها في "زهرة العمر" و زكي مبارك في ذكرياته، و بدت باريس في هذه الكتب نقطة الانطلاق نحو مشروع حضاري، و تكون باريس فيه بما تجسده من مبادئ فكرية نموذجا يقتدي به فمحمد كرد علي يحي باريس

بقوله "سلام عليك"، و يذكر: أنها عشيقة الإبداع، و واضعه حقوق الإنسان، و مهد المعارف و بلد فولتير و ديكارت، و روسو، و هيغو ...

"لقد خلقت هذه الكتابات صورة إيجابية لمدينة باريس في الأدب العربي، فتغنى بها أحمد شوقي في قصيدته الشهيرة :

جهد الصيابة ما أكابد لو كان ما قد ذقته يكفيك[1] .

و أضفي عليها طابع القداسة، مثلما تغى بها خير الدين الزركاني و محمد مهدي الجواهري و غيرهم .

4.دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق :

تعد حضارة الشرق و العراق الأدنى من بين الحضارات التي شاع صيتها في التاريخ و الأسطورة و أطلاعها في أقدم بكثير من عصر النهضة، فقد أثارت هذه الأطلال فضول الباحثين، و كانت المعلومات تصل عن طريق رحلات المؤرخين الإغريق و لم تكن تصل الأخبار عن العراق القديمة إلا عن طريق أخبار التوراة و روايات الرحالة الكلاسيكيين أمثال: هيرودوث زنيغون و سترابون و غيرهم و لهم الفضل في تعريف الغرب على أحوال الشرق ابتداء من القرن 12 قبل أن تبدأ التحريات و التقيبات في القرن 13 .

"و تعد رحلة السائح اليهودي بنيامين التطلي سنة 1160 من أولى الرحلات، كما تعد رحلة بول بوتالير دور لنصن عام 1842 من أولى التحريات الأثرية .

كانت هذه الرحلات من أهم المصادر المعتمدة في الكشف عما يعرفه العالم اليوم عن حضارة الشرق القديمة و الألواح التي تركها أهلا تلك الحضارة من نقوش فنية على أختامهم الأسطوانية و كتاباتهم على التماثيل المسلات و الألواح الطينية، و الأساطين و الأوعية ناهيك عما تركوه من نصوص القوانين و الشرائع و الأساطير و القصص و الملامح الشعرية و التراتيل الدينية و المقالات، و قد انطلقت هذه الرحلات في منتصف القرن 16 و نشطت في القرن 17 لكن يمكن اعتبار و المصادر الكلاسيكية لتاريخ حضارة الشرق و بلاد ما بين النهرين هي البداية الحقيقية لأدب الرحلات و بعد هيرودوت (480-425) الملقب بأبي التاريخ قد اطلعنا على أحوال العراق القديم و قد تميز بولوعة سرد الحكايات و القصص و الأساطير " .

[1] المرجع السابق، ص 23 .

"و قد عاصر هيرودوت المؤرخ زينغون (430-355 ق.م) الذي ترك مجموعة من الأخبار العراق و الإمبراطورية الفارسية الاخمينية و من الرحالة اليونان المشهورين بوليبيوس Polybuis (202-120 ق.م) الذي ألف في تاريخ الرومان و ذكر أحوال عالم البحر الأبيض المتوسط و أحداثه التاريخية، و كان أول من استعمل كلمة ميزوبوكاميا (ما بين النهرين) لإطلاقه على الجزء الأوسط و الشمالي من أرض الرافدين، و تجدر الإشارة كذلك إلى الجغرافي الشهير سترابون Strabon في حدود (64 ق.م إلى 19م) الذي اشتهر لمؤلفه عن جغرافية العالم، وصف فيه الأقاليم المعروفة آنذاك و منها بلاد بابل و أشور، و وضف أحوالها الماضية، و أسوارها المشهورة و جنائنها المعلقة التي يذكرها بالمصطلح الإغريقي Kremostos Kepos .

كما دوّن المؤرخ الروماني كورتيوس روفس (Kurtius Rufus)، (القرآن 1م)، تاريخ الإسكندر، تطرق فيه إلى وصف بابل .

كما اشتهر المؤرخ الروماني بليني الأكبر Peliny (23 أو 24-79م) بمؤلفاته التاريخية و الجغرافية أشهرها كتابة المعنون التأريخ الطبيعي الذي وصف فيه جغرافية القارات المعروفة في زمنه و عادات أهلها و مواردها و وصف بعض المدن القديمة مثل "سلوكية"، و "أرتميتا"، و "الوركاء"، و من كتاب الرومان أيضا أريان (95-175م) الذي اشتهر بمؤلفه عن حروب الإسكندر الأكبر في كتاب بعنوان حملة الإسكندر و جاءت فيه اخبار عن بلاد بابل و بلاد الهند و الاستكشافات البحرية التي قام بها قائد الإسكندر (نيرخش) في الخليج العربي و البحر الهندي إضافة إلى الكاتب الروماني كلوديوس ألبانوس (ق 2م) الذي روى في جملة أخباره قصة عن البطل الشهير جلجامش و سماه "كلكاموس" بالإضافة إلى هذه المعلومات الواردة في كتب هؤلاء الرحالة و التي صنفت ضمن المصادر الكلاسيكية، بدأ الغرب يتعرف عن أحوال العراق و بلدان الشرق الأدنى بوجه عام .

"و قد عمل رحالة القرن 12 على نقل نماذج من آثار العراق إلى أوروبا و من بينها الألواح الطينية المدونة بالكتابة المساوية، مما مهد إلى حل رموز الخط المسماري و الشروع في التنقيبات الفعلية بالمنطقة و منهم بنيامين التطليلي بن يوحنا الذي يعتبر أول سائح (سبق ذكره) .

"قد اهتم في مذكراته بالجاليات اليهودية في الأقطار التي زارها خاصة العراق و عندما ترجمت رحلته إلى الفرنسية و الانجليزية أثارت اهتمام المؤرخين في أوروبا خاصة أن الأمر متعلق ببقايا مدن يعرفونها و يحنون

إليها لأنهم يشعرون بالانتماء إليها و لهم فيها ذكريات (الكتاب المقدس و الأماكن المقدسة، الحملات الصليبية و ما تبقى منها من آثار .

"أما رحالة القرن 16 فكانوا من الحجاج و رجال الدين و كانت الرحلة إلى الشرق بالنسبة إليهم نوعا من التكملة للحج إلى الأراضي المقدّسة، و قد تميزت كتاباتهم بعداء شديد للمسلمين و المسيحيين حتى وصفوا بالصليبيين المتأخرين، و لعل هذا العداء ينبع من عرقية أوروبية كاثوليكية" .

فلم يكن يبالي هؤلاء الرحالة الأوائل بمخاطر البحر و من القرصنة (من قبل قبائل سورية و فلسطين)، حيث كان همهم الأساسي هو الوصول إلى القدس فقد كان المبشرون و حتى التجار و الدبلوماسيين الذين يزورون الشرق يبدأون زيارتهم بها ينطلقون إلى سوريا أو مصر، و كان الانطلاق غالبا ما يكون من روما قصدا الحصول على البركة الرسولية التقليدية، و من مشاهير رحالة هذا القرن 16 العالم الطبيعي و الطبيب الألماني راوولف و زار العراق في 17 النبيل الإيطالي بيروديلا فاله Pietrodella Vallé و استغرقت رحلته عشر سنوات (1616 إلى 1625) قرار بقايا بابل في سنة 1616 .

و في النصف الثاني من القرن 17 عرف أدب الرحلات انتشارا واسعا في أوروبا خاصة فرنسا فاشتهر كل من تفينو Thevenot الذي زار العراق و بغداد سنة 1664 و الرحالة تافرنيه الذي وصف بغداد و كذلك بول لوكاس الذي قام برحلة إلى مصر[1] .

"و رغم اشتهار هؤلاء الرحالة بالتجارة فإن أسلوبهم قد عرف تحسنا سواء فيما يخص قدرتهم على التنقيب و المقارنة، و قد طبعت في الفترة الممتدة بين 1665 و 1745 ما يزيد مئة و خمسين رحلة منها على الأقل مئة رحلة جديدة" .

"و قد حملت هذه الكتب حول بلاد الشرق و العراق المفهوم الأوروبي للإنسان و المجتمع و الدين و إلى جانب الطرفة و المغامرة الخطرة التي كانت تطغى على كتب الرحلات، نجدها قد احتوت ملاحظات حول عوائد الشعوب الشرقية و أطباعها بالإضافة إلى أوصاف النبات و الحيوان، كذلك ظهرت المقارنات المفيدة، و ما كان يصفه الرحالة الأوائل بسرعة بالمتوحش و الشاذ عن قوانين الطبيعة، أخذ يصبح تدريجيا مدار تأمل

[1] أنظر المرجع السابق، ص 28 .

أعمق و مقارنة بين الشعوب من هذا الاحتكاك، بدأت تنمو أفكار النسبية و التسامح التي طبعت عصر الأنوار الأوروبي .

إلى هنا يمكن القول أن الرحالة الذين زاروا بلاد المشرق قد اتخذت رحلاتهم إما الطابع الديني او السياحي أو التجاري أو العسكري، و قد تقدمت مراحل كشف ماضي حضارة الشرق حينما أصبح المهتمون يقيمون في العراق فترات أطول مدفوعين في ذلك بالشؤون السياسية و التجارية مثلا وكلاء الشركات الأجنبية و المقيمين الممثلين لدولهم، و شملت هذه الرغبة الرأي العام الأوروبي و خاصة انجلترا حتى أن شركة الهند الشرقية المعروفة في لندن أرسلت مقيما لها في بغداد قصد جلب الألواح و الأجور المختوم بالكتابة المسمارية[1].

أوضاع موريتانية من خلال رحلة أودكس الكوزيكي :

"تعد رحلة أودوكس مصدرا تاريخي يفيد في معرفة مرحلة دقيقة من تاريخ المملكة المورية التي قامت بالمغرب القديم، و هو رجل أعمال ينتمي إلى أسرة ثرية من مدينة موزيك، الواقعة شمال غرب آسيا الصغرى التي شملتها هيمنة روما خلال القرن (2 ق.م) .

"و قد كانت له أنشطة تجارية في العالم الإغريقي- الروماني، حيث كان يملك أسطولا تجاريا و قد قام برحلتين تجاريتين من مصر إلى الهند، و رحلة تجارية بين بلاده و إسبانيا، و قد انطلقت رحلته من مدينة كاديرة الإسبانية باتجاه الهند عبر المحيط الأطلسي و وصل إلى موريسية أي موريطانية[2] .

"و تعد رحلة أودوكس هي أولى التجارب الملاحية التي وصلت أخبارها و التي أدت استكشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط، انطلاقا من شبه جزيرة إبريا، أما هدف الرحلة فهو القيام بمشروع تجاري لجلب المواد المتوفرة في المجال الأثيوبي على الخصوص، و هذا المشروع يعتبر استثمار لتوسيع أفاق التجارة الرومانية التي أصبحت تسيطر على العالم، و اعتبرت موريطانية محطة هامة في الاتصال بالأثيوبيين الغربيين عبر المحيط أو عبر المسالك الصحراوية، حيث تلعب دورا أساسيا في مشروع هذه الملاحة التجارية أما زمن الرحلة فقد أمكن تحديده لسنة 111 ق.م على أكبر تقدير" .

[1] أنظر، المرجع نفسه، ص 31-32 .
[2] أنظر، المرجع نفسه، 34 .

5.الاستشراق :

"ظهر مصطلح الاستشراق Orientalism في نهاية القرن الثامن عشر و أن كان الاهتمام بالإسلام و الحضارة العربية الإسلامية قد نشأ قبل ذلك بعدة قرون في إطار الدراسات اللاهوتية، فنشأت بحوث كانت تهدف للتصدي للإسلام بعد ما أسهمت مجموعة من العوامل السياسية و الاقتصادية في دفع الدراسات الاستشراقية في الدول الاوروبية كي تنمو لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي في سعيه الدؤوب لإخضاع الشعوب المستعمرة، و لذا فغن المنظومة قد لا تعكس حقائق أو وقائع، كما يرى إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" بل تصور صورة الغرب، و هو يتعامل مع الحضارات الأخرى، من منظور المركزية الأوروبية [1]" .

كما أن أنور عبد الملك في مقالته الشهيرة "الاستشراق" في أزمة منهجية مهمة يلخصها بقوله: "إن المستشرقين ابتداءا من رينان إلى جولد تسيهر إلى ماكدونالدو، جب و برنارد لويس يعتبرون الإسلام مركبا ثقافيا، لا يمكن دراسته بعيدا عن اقتصاديات الشعوب الإسلامية و حياتهم الاجتماعية و نظمها السياسية إلى أن جاء علماء الاجتماع و الأنتروبولوجيا، فأتبعوا في دراستهم مناهج جديدة تعالج الإسلام كظاهرة شدية التعقيد.

"و يلعب الاستشراق دورا فعالا في التعريف بالتراث العربي، بصرف النظر عن دقته الذي أدى إلى قيام حركة أدبية في أوروبا تفيد منه، و تنمو من خلال تأثيراته، فقد قام المستشرقون بترجمة "ألف ليلة و ليلة" إلى لغاتهم، و لعل ترجمة انطون غالان التي نقلت إلى الفرنسية بين عامي **1704** و **1708** تشكل أكثر الترجمات أهمية في هذا المجال، نظر[2] لعمق تأثيرها في الأوساط الأدبية الأوروبية، حتى أن فولتير يعترف بأنه لم يزاول فن القصة إلا بعد أن قرأ "**ألف ليلة و ليلة**" **14** مرة ثم تأتي ترجمة إدواردلين للكتاب نفسه إلى الانجليزية بين عامي **1848-1849** و قد كان لهذه الترجمة دور مهم في الأدب الانجليزي .

كما بين محسن جاسم الموسمي في كتابه الوقوع في دائرة السحر، ألف ليلة و ليلة في النقد الأدبي الانجليزي .

---

[1] المرجع السابق، ص 215 .

[2] حسين قبسي، مجلة الفكر العربي، ع 31 (1983)، ص 70-105، نقلة يوسف بكار، ص 216 .

"إن الحديث عن مناهج المستشرقين الأوروبيين في بريطانيا و فرنسا، و ألمانيا و إسبانيا، ثم الو.م.أ و روسيا يحتاج إلى صفحات كثيرة و ذلك نظرا إلى كثرة هؤلاء المستشرقين و تنوع إنتاجهم و غزارته، فقد أسهم بالبرديات العربية، و درسوا ظهور الإسلام و انتشاره، و فلسفته، و ترجموا القرآن الكريم و اهتموا بقراءاته و اهتموا بالحديث النبوي، و صنعوا معجما مفهرسا لألفاظه و درسوا شخصية الرسول (صلى الله عليه و سلم) كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية و اعتنوا بالفلسفة الإسلامية و درسوا علم الكلام و التصوف و الأخلاق، و درسوا علوم الحضارة الإسلامية و فنونها، و لغاتها و أدابها .

ففي بريطانيا نجد المستشرق رينولد نيكلسون (1868-1984) في كتابه "تاريخ الأدب العربي" و قد نقله صفاء خلوصي إلى العربية و يقوم الكاتب بعرض تعريفي عام بنشأة هذا الأدب منذ العصر الجاهلي حتى غزو نابليون لمصر عام 1798م و هو يحاول التعرض إلى العديد من الظواهر الأدبية، و يحاول تعليلها، فيقف عند رواية الشعر الجاهلي الشفوية و نشأة التصوف ويردها لأسباب خارجية، ثم يتحدث عن تأثير الشعر[1] .

الشعر العربي في الشعر الأوروبي و خاصة شعر الثرو بادور، ثم يتحدث عن "ألف ليلة و ليلة" و شهرتها في الغرب .

"أما في فرنسا فكان بلاشير احد المستشرقين الذين قضوا فترة طويلة من فترات تكوينهم الثقافي و الوجداني في شمال إفريقيا، فقد رحل إلى المغرب في الخامسة عشرة، و حصل على شهادته الجامعية في اللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر سنة 1922م و مارس وظائفه الأولى في التعليم الثانوي و الجامعي بالمغرب العربي، قبل أن سيند إليه منصب تدريس العربية الفصحى في مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة 1935م و من خلال مقامه ظل النشاط العلمي لبلاشير مزدهرا حتى وفاته في الثالثة و السبعين برغم انه أطيب بالعمى في العقدين الأخيرين من عمره، و ظل محافظا على صلته الحية بالعالم العربي، فقد كان عضوا بمجمع اللغة العربية في القاهرة و دمشق إلى جانب عضويته لأكاديمية الفنون و الآداب في فرنسا[2] و من أهم مؤلفات بلاشير:

[1] يوسف بكارد، المرجع السابق، ص 217 .
[2] أحد درويش، الاستشراق الفرنسي و الآداب *** (د ط)، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص 27 .

. "L'histoir de la littérature arabe des origines à la fin du x ve siecle"

تاريخ الأدب العربي من البداية حتى نهاية القرن 15، و هو كتاب اقترح فيه تقسيما جديدا لتاريخ الأدب العربي، و قد استطاع بلاشير أن ينجز من كتابه هذا ثلاثة مجلدات قبل ان يدركه الموت، و قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية على يد: د.إبراهيم الكيلاني، و صدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة 1974م .

و قد نشر بلاشير رسالته التي أعدها للدكتوراه بعنوان: شاعر عربي من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي: أبو الطيب المتنبي، و قد ترجمها أيضا إلى العربية د.إبراهيم الكيلاني و نشرت في دمشق عام 1975م، و قد رأى كثير من الدارسين أن دراسة بلاشير هذه كان لها تأثير في كتاب طه حسين "مع المتنبي".

و قد عن الجغرافيين العرب كتابه "اقتباسات من أعلام الجغرافيين العرب في العصور الوسطى Extrais des principausc géographes arabes du moyen âge »

و في هذا الاتجاه وجه تلميذه اندريه ميكيل الذي كتب رسالته عن الجغرافيا الإنسانية، و كتب حولها عدة دراسات من بينها الدراسة التي ترجمت في هذا الكتاب حول "إمبراطورية الإسلام و تجسيدها الشعوري في الأدب الجغرافي" .

و قد اهتم بلاشير كذلك بالدراسات القرآنية فقدم سنة 1974م كتابه "مدخل إلى القرآن Introductio au coran"، ثم قدم ترجمة للقرآن سنة 1950م رتب فيها الآيات حسب النزول، ثم أعاد تقديمها سنة 1957م مراعيا فيها ترتيب المصحف العثماني، و يضم هذا الكتاب إحدى دراساته المتصلة بالقرآن و أثره في نشأة المعجم العربي .

و في مجال الدراسات المحمدية، قدم بلاشير عدة دراسات عن شخصية الرسول الكريم اتسمت في مجملها بالاعتدال و الإنصاف و الميل إلى النظرة الموضوعية .

أما أندريه ميكيل، فقد ولد سنة 1929 في جنوب فرنسا، و أتم دراسته بمدرسة المعلمين العليا و درس العربية على يد بلاشير، و عمل عقب تخرجه في دمشق و بيروت بالمعهد الفرنسي للدراسات العربية، ثم عمل في أثيوبيا فترة عامين في أواسط الخمسينات، و عندما عاد إلى فرنسا ليعمل في وزارة الخارجية، اختار كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي ليجعل من ترجمة بعض فصوله و دراسته أطروحته الأولى للدكتوراه، و عندما عين سنة 1961 مستشارا ثقافيا لفرنسا بمصر، اتجه إلى أن يجعل رسالته الثانية للدكتوراه

عن الحياة الثقافية بمصر، لكنه تعرض لمحنة بسبب الخلاف الذي كان بين فرنسا و مصر القضية الجزائرية آنذاك، و دعم جمال عبد الناصر لاستقلال الجزائر، و قد زج بميكيل في السجن أين سجل مذكراته بعنوان "وجبات المساء" "Les repas du soire"، و قد غادر مصر بعدها و جعل اطروحته الثانية للدكتوراه بعنوان "الجغرافية الإنسانية للعالم الإسلامي حتى منتصف القرن 11" .

"***La géographie humaine du monde musulmon jusque 'au milieu du x I siècle***" .

و قد نشرت ترجمته العربية في دمشق سنة 1986م، و من أهم مؤلفات أندريه ميكيل إلى جانب ما ذكرنا :

الإسلام و حضارته "L'eslam et sa civilisation" و قد نشر سنة 1968م و ترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية .

كتاب الأدب العربي "La littérature arabe" و قد ظهر في تونس مترجما إلى العربية .

سبع حكايات من ألف ليلة و ليلة "Septs contes des milles et une nuit" .

ترجمة ديوان المعبد الفريق لبدر شاكر السياب .

أما في أمانيا يمكن الإشارة إلى بروكلمان (1868-1956) و جهده في كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي أمضى بروكلمان أكثر من 20 سنة في تأليفه، و فيه بهذا الأدب و أصحابه،ـــ و مخطوطاتهم و مكان وجودها في العالم .

أما إسبانيا فكانت الدراسات التي تقف عند العرب العربي و تأثيره في الآداب الأوروبية من اختصاص آنخل جنثالث بالنثيا (1889-1949)ن كذلك له كتاب "تاريخ الفكر الأندلسي" الذي عرض فيه لأبرز الشعراء و الفلاسفة و المتصوفة رابطا ذلك بالأحوال السياسية في الأندلس .

أما في روسيا فكان كتاب "دراسات في تاريخ الأدب العربي" لصاحبه أغناطيوش كراتشوفسكي كتاب تعريفي ليغرّف فيه بالشعر الجاهلي، ثم بالشعر في العصور المختلفة، ثم يتحدث عن ظواهر فنية كظاهرة البديع محللا لأشعار شعرائه، و منهج ابن المعتز في دراسته، كما يعرف بالأدب الأندلسي، و يقف في النهاية عند قصة ليلى و المجنون .

أما الو.م.أ فتشارلز آدمس كتب "الإسلام و التجديد في مصر" الذي ترجمه عباس محمود، و فيه يعرض لجهود الأفغاني و محمد عبده و غيرهما من زعماء الإصلاح، و قد أشاد بدور "العروى الوثقى" و أثرها في الإصلاح، و الملاحظ أن الجهود المستشرقين قد أسهمت في تعريف لقارئ الغربي بالأدب العربي و تجلياته هاته الجهود قد أفضت إلى قيام مجموعة من الأدباء في الغرب و على رأسهم الشاعر الألماني غوته الذي كتب عن الشعر العربي و أعجب بمعلقاته و استوحى هذا الإعجاب في ديوانه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، و من هنا تحولت صورة الشرق العربي التي كانت سلبية عند دانتي في "الكوميديا الإلهية" إلى صورة ذات أبعاد إيجابية انعكست في الفن الرومنسي الأوروبي، حيث صار للشرق منبعا للسحر و الخيال[1] .

و من هنا كان الاستشراق رغم تحفظ الدارسين حول نتائج أبحاثه، وسيط نقل الآداب العربية و أسهم في تقليص الهوة الثقافية بين الشرق و الغرب، كما أسهم في غحداث نوع من الاهتمام على الصعيد الثقافي في الغرب، فقد خلفت نوعا من الاهتمام بالشرق تجلت في أدب الرومانسيين أمثال غوتة، و فكتور هيغو، و لسنج .

الذين اعتبروا الشرق مهبط الإلهام الرومانسي و قد هتف شليجل عام 1800 "هناك في الشرق وحده علينا ان نبحث عن الرومانسية في سموها، "مما جعل الانجليز و الفرنسيين و الألمان يتنافسون على فك رموز الكتابات الشرقية القديمة بما فيها الهيروغليفية، لكي ينتزعوا أسرارها و ينشروا نصوصها و الشروح الخاصة بها".

و قد رأى هؤلاء في الشرق الحرية و الهدوء و حب التأمل بما يحقق للأديب الرغبة في الهروب إلى عالم الطبيعة، مثلما أسهمت بعض هذه الدراسات على الصعيد الآخر في رسم صورة سلبية للشرق، يبدو فيه غامضا و شهوانيا و متعصبا إلى حد الهوس، و يسعى الأدب المقارن من خلال دراسات الصورة إلى تحليل العوامل التي أدت إلى تشكل الصورتين و محاولة فهمها" .

[1] د. يوسف بكار و د. خليل الشيخ الأدب المقارن، (سبق ذكره)، ص 217-218 .

الفصل الثالث:

رحلة ابن جبير وابن بطوطة و المقري

المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب

صورة المشرق عند الرحالة الانجليز

صورة المشرق عن الرحالة الفرنسيين

صورة المشرق عند الرحالة الألمان

رحلة ابن جبير:

كانت رحلة ابن جبير في أيام احتلال الصليبيين لبلاد الشام وكان إذ ذاك السلطان صلاح الدين في مصر يتأهب لطردهم وتخليص البلاد من شرهم.

وصاحب الرحلة هو أبو الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي ولد ببلنسية سنة 540هـ نشأ محبا للعلم والدب متفقها في الدين وبلغ من شأنه أن ألحقه أبو عثمان عن المؤمن حاكم غرناطة بكتاب ديوانه.

ويبدو أن ابن جبير كان يدون أخبار رحلته على صورة مذكرات يومية ويستخدم التاريخ الهجري مع ذكر السنة والشمسي دون ذكر السنة ويعتقد أنه لم يكن ينوي نشرها وإنما هدفه هو أن يطلع عليها حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد وكأنها بذلك تقرير عن الرحلة يكتبه لصاحبه والدليل على ذلك أن ناشر الرحلة هو بعض تلاميذه الذين رتبوها ونسقوها وفقا لمراحل الرحلة وذلك بعد وفاته باسم "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" ويؤثر الذي نشروها في العصر الحديث من المستشرقين والعرب أن يطلقوا عليها اسم "رحلة ابن جبير".[1]

وعلى العموم فإن هذه الرحلة تقص ما شاهده ابن جبير في طريقه إلى حجه وعودته منه وهي مكتوبة على طريقة مذكرات يومية وقد رحل ابن جبير إلى المشرق بعد هذه الرحلة مرتين: الأولى بعد سماعه بفتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس وتخليصه من أيدي الصليبيين وكانت سنة 578هـ والثانية كانت سنة 585هـ والثالثة سنة 614هـ.

[1]- أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار القصبة للنشر، 2001.

وقد أكثر ابن جبير من مدح صلاح الدين ورعايته لشؤون المصريين وأشار إلى الرزاق التي يجريها المغاربة الذين يترلون بقطره ويخصهم به من عطف.

ونوه بعنايته بالمدارس وبحفظ القرآن وأشاد بمحوه للضريبة التي تؤخذ من حجاج المغرب.

والرحلة مكتوبة بلغة سهلة بسيطة وطريقته في السرد محببة إلى النفس، وهو يصف ما يشاهده وصفا دقيقا ولم يتكلف في عبارة ولا في فكرة، والرحلة فوق ذلك تحوي معلومات لا يستغنى عنها مؤرخ أو جغرافي أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي وقد ارتفعت الصياغة الأدبية معه إلى درجة عالية وهي تمثل الذروة فيما بلغه أدب الرحلة العربي ذلك يسير مما حفلت به حياة ابن جبير الأدبية والفكرية إلى أن وافته المنية سنة 614هـ أثناء الرحلة الثالثة.

هذه الرحلة تقص ما شاهده ابن جبير في طريقه إلى حجه وعودته منه.[1]

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار:

ابتدء بتقييدها يوم الجمعة الموفي ثلاثين لشهر شوال سنة ثمن وسبعين وخمس مئة على متن البحر بمقابلة جبل شلير[2] عرفنا الله السلامة بمنه.

وكان انفصال أحمد بن حسان ومحمد بن جبير من غرناطة، حرسها الله للنية الحجازية المباركة، قرنها الله بالتيسير والتسهيل وتعريف الصنع الجميل، أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال المذكور وبموافقة اليوم الثالث لشهر فبراير الأعجمي، وكان الاجتياز على جيان لقضاء

[1]- المرجع نفسه.
[2]- رحلة ابن جبير، ص 06.

بعض الأسباب، ثم كان الخروج منها أول ساعة من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال المذكور وبموافقة اليوم الرابع عشر لشهر فبراير المذكور أيضا.

وكان مرحلتنا الأولى منها إلى حصن القبذاق ثم منه إلى حصن قبرة ثم منه إلى مدينة استجة ثم منه إلى حصن أشونة ثم منه إلى شلبر ثم منه إلى حصن أركش ثم منه إلى قرية تعرف بقرية القشمة من قرى مدينة ابن سليم ثم منها إلى جزيرة طريف، وذلك يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المؤرخ.

فلما كان ظهر يوم الثلاثاء من اليوم الثاني، يسر الله علينا في عبور البحر إلى قصر مصمودة، تيسيرا عجيبا والحمد لله ونهضنا منه إلى سبتة غداوة يوم الأربعاء الثامن الثامن والعشرين منه، وألفينا بها مركبا للزوم الجنوبين مقلعا إلى الإسكندرية بحول الله عز وجل، فسهل الله علينا في الركوب فيه وأقلعنا ظهر يوم الخميس التاسع والعشرين منه، وبموافقة الرابع والعشرين من فبراير المذكور بحول الله تعالى وعونه، لا رب غيره، وكان طريقنا في البحر محاذيا البر الأندلس، وفارقناه يوم الخميس السادس لذي القعدة بعده عندما حاذينا دانية.

وفي صبيحة يوم الجمعة السابع من الشهر المذكور آنفا قابلنا بر جزيرة يابسة ثم يوم السبت قابلنا بر جزيرة ميورقة، ثم يوم الأحد بعده قابلنا جزيرة منورقة، ومن سبتة إليها نحو ثمانية مجار، والمجرى مئة ميل وفارقنا بر هذه الجزيرة المذكورة، وقام معنا بر جزيرة سردانية أول ليلة الثلاثاء الحادي عشر من الشهر المذكور، وهو الثامن من مارس دفعة واحدة على نحو ميل أو أقل، وبين الجزارتين سردانية ومنورقة نحو الأربع مئة ميل، فكان قطعا مستغربا في السرعة.

لا إسلام إلا في المغرب – رحلة ابن جبير

وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها، وما مستوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع، إلا من عصم الله عز وجل من أهلها، كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله فهم آخر أئمة العدل في الزمان.

وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها، اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين، الذي قد ذكرنا سيرته ومناقبه، ولو كان له أعوان على الحق... ما أريد الله عز وجل يتلاقى المسلمين بجميل نظرة ولطيف صنعه.[1]

مدينة دمشق – رحلة ابن جبير

جنة المشرق ومطلع حسنه المؤبق المشرق وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي احتليناها، وقد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت حلل سندسية من البساتين وحلت من موضوع الحصن بالمكان المكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين، وتشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح وأمه صلى الله عليهما، ومنها إلى ربوة ذات قرار معين، ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل شبيل، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل، تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل، وقد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظماء، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب، أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، وقد أحدقت

[1]- المرجع نفس، ص 45-193.

البساتين بها إحداق الهالة بالقمر، واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر، فكل موضع لحظته بجهاتها الأربع نضرته اليانعة قيد النظر والله صدق القائلين عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها.

عدل صلاح الدين – رحلة ابن جبير:

ومن مفاخر السلطان المزلفة من الله تعالى وآثاره التي أبقاها ذكرا جميلا للدين والدنيا، إزالته رسم المكس المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيديين، فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استيدائها عنتا مجحفا ويسامون فيها خطة خسف باهظة، وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته أو لا نفقة عنده فيلزم أداء الضريبة المعلومة، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر دينارا مؤمنية على كل رأس، ويعجز عن ذلك، فيناول بأليم العذاب بعيذاب فكانت كاسمها مفتوحة العين.

وربما اخترع له أنواع العذاب التعليق من الانثيين أو غير ذلك من الأمور الشنيعة، نعوذ بالله من سوء قدره، وكان بجدة أمثال هذا التنكيل وأضعافه لمن لم يؤد مكسه بعيذاب ووصل اسمه غير معلم عليه علامة الأداء، فمحا هذا السلطان هذا الرسم اللعين ودفع عوضا منه ما يقوم مقامه من أطعمة وسواها، وعين مجبى موضع معين بأسره لذلك، وتكفل بتوصيل جميع ذلك إلى الحجاز لأن الرسم المذكور كان باسم ميرة مكة والمدينة، عمرهما الله، فعوض من ذلك أجمل عوض، وسهل السبيل للحجاج، وكانت في حين حيز الانقطاع وعدم الاستطلاع، وكفى الله المؤمنين

على يدي هذا السلطان العادل حادثا عظيما وخطبا أليما،فترتب الشكر له على كل من يعتقد من الناس أن حج البيت الحرام إحدى القواعد الخمس من الإسلام، حتى يعم جميع الأفاق ويوجب الدعاء له في كل صقع من الأصقاع وبقعة من البقاع والله من وراء مجازاة المحسنين، وهو جلت قدرته، لا يضيع أجر من أحسن عملا إلا مكوس كانت في البلاد المصرية وسواها ضرائب على كل ما يباع ويشترى مما دق أو جل، حتى كان يؤدي على شرب ماء النيل المكس فضلا عما سواه، فمحا هذا السلطان هذه البدع اللعينة كلها وبسط العدل ونشر الأمن.

ومن عدل هذا السلطان وتأمينه للسبل أن الناس في بلاده لا يخلعون لباس الليل تصرفا فيما يعنيهم، ولا يستشعرون لسواده هيبة تثنيهم على مثل ذلك شاهدنا أحوالهم بمصر والإسكندرية حسبما تقدم ذكره.[1]

من عجيب أمر المشارقة – رحلة ابن جبير:

ومن عظيم أمرهم تعظيمهم للحاج، على قرب مسافة الحج منهم وتيسير ذلك لهم، واستطاعتهم لسبيله، فهم يتمسحون بهم عند صدورهم، ويتهافتون عليهم تبركا بهم، ومن أغرب ما حدثناه من ذلك أن الحاج الدمشقي مع من انضاف إليهم من المغاربة عند صدورهم إلى دمشق في هذا العام، الذي هو عام ثمانين، خرج الناس لتلقيهم الجم الغفير نساء ورجالا يصافحونهم ويتمسحون بهم وأخرجوا الدراهم لفقرائهم يتلقونهم بها، وأخرجوا إليهم الأطعمة، فأخبرني من أبصر كثيرا من النساء يتلقين الحاج ويناولنهم الخبز، فإذا عض الحاج فيه اختطفته من أيديهم وتبادرن لأكله تبركا بأكل الحاج له ودفعن له عوضا منه دراهم، إلى غير ذلك من الأمور العجيبة

[1]- المرجع السابق، ص 25.

ضد ما اعتدنا في المغرب في ذلك، وصنع بنا في بغداد عند تلقي الحاج بها مثل ذلك أو قريب منه، ولو شئنا استقصاء هذه الأمور لخرجت بنا عن مقصد التقيد، وإنما وقع الإلماع بلمحة دالة يكتفي بها عن التطويل، وكل من وفقه الله بهذه الجهات من الغرباء للانفراد يلتزم أن أحب ضيعة من الضياع فيكون فيها طيب العيش ناعم البال وينثال الخبز عليه من أهل الضيعة، ويلتزم الإمامة أو التعليم أو ما يشاء، ومتى سئم المقام خرج إلى ضيعة أخرى أو يصعد إلى جبل لبنان أو إلى جبل الجودي فيلقى بها المريدين المنقطعين إلى الله عز وجل فيقيم معهم ما شاء وينصرف إلى حيث شاء.[1]

❖ رحلة ابن بطوطة:

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، نسبته إلى لواته إحدى قبائل البربر المعروف بابن بطوطة، والملقب بشمس الدين.

ولد في طنجة، فقيل له الطنجي، ومكث فيها إلى أن بلغ الثانية والعشرين، فاندفع بدافع التقوى، وكان على قسط عظيم منها، إلى الحج، وانساق بحب الأسفار وجزيرة العرب وإفريقية الشرقية، وآسيا الصغرى وروسيا الجنوبية والهند والصين والأندلس والسودان.

ورحلاته الثلاث استغرقت كلها زهاء تسع وعشرين سنة، أطولها السفرة الأولى التي لم يترك فيها ناحية من نواحي المغرب والمشرق إلا زارها.

وأكثر ما كانت إقامته في الهند حيث تولى القضاء سنتين ثم في الصين حيث تولى القضاء سنة ونصفا فوصف كل من شاهده وعرفه فيهما من سلاطين وخواتين، وأناسي رجالا ونساء،

[1]- المرجع السابق، ص 213.

ووصف ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم وضيافاتهم وترتيب مآكلهم ومشاربهم، وما حدث في أثناء إقامته من حروب وغزوات وثورات وفتك السلاطين والأمراء ورجال الدين.

وكانت عاطفته الدينية تدفعه إلى زيارة المساجد والزوايا فلم يترك زاوية إلا زارها ونزل ضيفا عليها حتى أنه زار جبل سرنديب المكان الذي يقال إن فيه أثر قدم آدم أبي البشر.[1]

وهو أول من أخبر عن جماعة الهنود المعروفين بالجوكية السحرة، وتكلم على عاداتهم وتصرفاتهم ومكاشفاتهم، وتكلم كذلك على الأخبة الفتيان وضيافاتهم وعلى الإسماعيلية المعروفين بالفداوية وحصونهم وفتكهم، وكذلك كان أول رحالة تغلغل في إفريقية وأعطى عنها معلومات قيمة، وقد نزل بعد رحلاته في فاس وأقام في حاشية السلطان أبي عنان من أمراء بني مرين يحدث الناس بما رآه وما سمعه، فأمره السلطان بأن يكتب هذه الأخبار، ولما كان الهنود قد سلبوه في بعض جولاته في الهند كل ما كان قد دونه في مذكراته، أملى على ظهر قلبه ما تذكره على كاتب السلطان محمد بن جزي الكلبي، وهذا ما يفسر لنا ما يرى في سياق رحلته من بعض هفوات جغرافية ومبالغات، وقد سمى مجموعة أخباره "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ولكنها تعرف اليوم برحلة ابن بطوطة.

لم يكن رحالتنا عالما ولا مفكرا ولا منشئا بليغا، وإنما كان جوالا أفاق دقيق الملاحظة يرغب في الاطلاع على كل شيء غريب وكأن عاطفته الدينية القوية أبت عليه إلا أن يصدق، دون تمحيص، كل ما قص عليه من كرامات فدونها كما أخبر بها فعله بما روي له عن لحية الشيخ جمال الدين، وهكذا لم يكن يمحص ما قص عليه من أساطير وخرافات، كحديث النساء ذوات

[1]- رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص 02-03.

الثدي الواحد، والعفاريت التي كانت تضرب جزائر ذيبة المهل، فروى كل ذلك على علاته، على أنه كان أحيانا يقف موقف المشكك في صحة الرواية فيقدم لها يقوله "يزعمون" أو يتبعها بقوله "هذا في زعمهم" فتصلا من تبعها وأسلوبه في سرده أخباره فكه ظريف، توخى فيه الأمانة، حتى ولو كان الأمر متعلقا بنفسه، وهذا ما جعل المستشرق دوزي يلقبه "بالرحالة الأمين" ومهما كان من أمر فإن قصه رحلاته من أطرف القصص وأجزلها نفعا لما فيها من وصف للعادات والأخلاق، ولما فيها من قواعد تاريخية وجغرافية، ومن ضبط لأسماء الرجال والنساء والمدن والأماكن.

وقد اهتم بها المستشرقين في انكلترا وفرنسا والبرتغال وألمانيا فترجموها إلى لغاتهم وطبعوها، وقسمها ابن جزي إلى كتابين وقف الأول عند وصول صاحبها إلى نهر السند، وأنهى الكتاب الثاني بنهاية الرحلة الثالثة.

الخروج من طنجة – رحلة ابن بطوطة:

قال الشيخ أبو عبد الله كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم منفردا عن رفيق آنس بصحبته وركب أكون في جملته، الباعث على النفس تسديد الغرائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كمن في الحيازم فجزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والدي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة.[1]

[1]- رحلة ابن بطوطة، المرجع نفسه، ص 14-16.

قال ابن جزي: أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الذي رويت أخبار جوده موصولة الإسناد بالأسناد، وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة الإشهاد، وتحلت الأيام بحلى فضله، ورتع الأنام في ظل رفقه وعد له، الإمام المقدس أبو السعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي فل حد الشرك صدق عزائمه وأطفأت نار الكفر جداول صارمة، وفتكت بعباء الصليب كتائبه وكرمت في إخلاص الجهاد مذاهبه، الإمام المقدس أبو يوسف بم عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم المقدسة من صوب الحياطلة وهتانه، وجزاهم أفضل الجزاء عن الإسلام والمسلمين، وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين، فوصلت مدينة تلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن ابن زيان ووافقت بها رسولي ملك إفريقية السلطان أبي يحي رحمه الله وهما قاضي الأنكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكرين علي بن إبراهيم النفزاوي، والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي نسبة إلى قرية بساحل المهدية وهو أحد الفضلاء.

وفي يوم وصولي إلى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فأشار علي بعض الإخوان بمرافقتهما، فاستخرت الله عز وجل في ذلك وأقمت بتلمسان ثلاثا في قضاء مأربي وخرجت أجد السير في آثارهما فوصلت مدينة مليانة وأدركتهما بها، وذلك في إبان القيض، فلحق الفقيهين مرض أقمنا بسببه عشرا ثم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالقاضي منهما فأقمنا ببعض المياه، على مسافة أربعة

أميال من مليانة ثلاثا وقضى القاضي نحبه ضحى اليوم الرابع، فعاد ابنه أو الطيب ورفيقه أبو عبد الله الزبيدي إلى مليانة فقبروه بها وتركتهم هناك، وارتحلت مع رفقة من تجار تونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحجر، وصلنا مدينة الجزائر وأقمنا بخارجها أياما إلى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضي فتوجهنا جميعا على منبجة إلى جبل الزان، ثم وصلنا إلى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله بدار قاضيها أبي عبد الله الزواوي، ونزل أبو الطيب ابن القاضي بدار الفقيه أبي عبد الله المفسر.

وكان أمير بجاية إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفي من تجار تونس الذين صحبتهم من مليانة محمد بن الحجر الذي تقدم ذكره، وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب، وأوصى بها لرجل من أهل الجزائر يعرف بابن حديدة ليوصلها إلى ورثته بتونس، فانتهى خبره لابن سيد الناس المذكور، فانتزعها من يده، وهذا أول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم.

ولما وصلنا إلى بجاية كما ذكرته أصابتني الحمى فأشار علي أبو عبد الله الزبيدي بالإقامة فيها حتى يتمكن البرء مني فأبيت وقلت إن قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز فقال لي: أما عزمت فبع دابتك وثقل المتاع وأنا أعيرك دابة وخباء وتصحبنا خفيفا، فإننا نجد السير خوف غارة العرب في الطريق ففعلت هذا وأعارني ما وعد به جزاه الله خيرا، وكان ذلك أول ما ظهر لي من الألطاف الإلهية في تلك الوجهة الحجازية وسرنا إلى أن وصلنا مدينة قسنطينة فنزلنا خارجها وأصابنا مطر جود فاضطررنا إلى الخروج عن الأخبية ليلا إلى

دور هنالك، فلما كان الغد تلقانا حاكم المدينة، وهو من الشرفاء الفضلاء يسمى بأبي الحسن، فنظر إلى ثيابنا وقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره، وكان الإحرام منها خلقا فبث مكانه إحراما بعلبكيا وصر في أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتح به على في وجهي.

ورحلنا على أن وصلنا مدينة بونه ونزلنا بداخلها وأقمنا بها أياما ثم تركنا بها من كان في صحبتنا من التجار لأجل الخسوف في الطريق وتجردنا للسير وواصلنا الجد وأصابتني الحمى فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف إلى أن وصلنا مدينة تونس، فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب ابن القاضي أبي عبد الله النفزاوي، فأقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال و لم يسلم علي أحد لعدم معرفتي بهم، فوجدت من ذلك في النفس ما لم أملك معه سوابق الغيرة، واشتد بكائي، فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والانباس ومازال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين.

قال ابن جزي: أخبرني شيخي قاضي الجماعة أخطب الخطباء أبو البركات محمد ابن محمد إبراهيم السلمي هو ابن الحاج البلقيقي أنه جرى له مثل هذه الحكاية، قال قصدت مدينة بلس من بلاد الأندلس في ليلة عيد يرسم رواية الحديث المسلسل بالعيد عن أبي عبد الله بن الكماد وحضرت المصلى مع الناس، فلما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام، وأنا في ناحية لا يسلم علي أحد فقصد إلي شيخ من أهل المدينة المذكورة، وأقبل على بالسلام

والإيناس وقال نظرت إليك فرأيتك منتبذا عن الناس لا يسلم عليك أحد فعرفت أنك غريب فأحببت إيناسك جزاه الله خيرا.

ذكر المسجد المقدس:

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال أنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وإن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذرعا، وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا، وهو الذي يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء وغير مسقف إلى المسجد الأقصى، فهو مسقف في النهاية من أحكام العمل وإتقان الصنعة مموه بالذهب والأصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواه مسقفة.

ذكر قبة الصخرة:

وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا، وقد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة، وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ نورا وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي وسط قبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا ينزل إليها على درج وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان

محكما العمل يغلقان عليها أحدهما هو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.[1]

ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية:

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا، وأتقنها صناعة، وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا، ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه، وكان الذي تولى بناءه وإتقانه أمير المؤمنين الوليد بن مروان، ووجه إلى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث إليه الصناع فبعث إليه اثني عشر ألف صانع، وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه، من إحدى جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلحا، فانتهى إلى نصف الكنيسة، فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجدا، وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة، فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاءوا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم، وكانوا يزعمون أن الذي يهدمها يجن، فذكروا ذلك للوليد فقال أنا أول من يجن في سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه، فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على الهدم، وأكذب الله زعم الروم.[2]

[1]- رحلة ابن بطوطة، المرجع نفسه، ص 57-58.
[2]- رحلة ابن بطوطة، المرجع نفسه، ص 88.

وزين هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء تخالطها أنواع الأصبغة الغربية الحسن، وذرع المسجد في الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة، وهي ثلاثمائة ذراع، وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة، وهي مائتا ذراع، وعدد شمسيات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب سعة كل بلاط منها ثماني عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل حصية تتخللها وست أرجل مرخمة مرصعة بالرخام الملون، وقد صور فيها أشكال محاريب وسواها وهي ثقل قبة الرصاص التي أما المحراب المسمى بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد نسرا طائرا والقبة رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد.

وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية وبها من السواري ثلاث وثلاثون، وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فمن قارئ ومحدث وذاهب وفي هذا الصحن ثلاث من القباب إحداها في غربية وهي أكبرهما وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثماني سوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال إن مال الجامع كان يختزن بها.

وذكر لي أن فوائد مستغلات الجامع وجبايته نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبا في كل سنة، والقبة الثانية من شرق الصحن على هيئة الأخرى إلا أنها أصغر منها قائمة على ثمان من سواري الرخام وتسمى قبة زين العابدين، والقبة الثالثة في وسط الصحن وهي صغيرة مثمنة من

رخام عجيب محكم الإلصاق قائمة على أربعة سوار من الرخام الناصع وتحتها شباك حديد في وسطه أنبوب نحاس يمج الماء إلى علو فيرفع ثم يثنى وهم يسمونه قفص الماء، وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي إلى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان العربي والجوفي موضع يقال إن عائشة رضي الله عنها سمعت الحديث هنالك، وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية وفي الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة، فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم، وهنالك يحلف الناس غرماءهم ومن ادعوا عليه شيعا، وعن يسار المقصورة محراب الصحابة، ويذكر أهل التاريخ أنه أول محراب وضع في الإسلام وفيه يؤم إمام المالكية، وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم إمامهم ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم إمامهم.

ولهذا المسجد ثلاث صوامع إحداها بشرقية وهي من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد والصومعة الثانية بغربية وهي أيضا من بناء الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين، وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفي شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء، وفي وسط المسجد قبر زكرياء عليه السلام وعليه تابوت معترض بين أسطوانتين مكسو بثوب حرير أسود معلم فيه مكتوب بالأبيض {يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي}.

ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة إلا قليلا من الزمان، والناس يجتمعون به كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤون سبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرؤون فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن، وللمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجرى لهم، وهم نحو ستمائة إنسان، ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته.

وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك، ويتوضئون من المطاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها، وأهل البلد يعينونهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئا من ذلك.

وفي هذا المسجد أربعة أبواب قبلي يعرف بباب الزيادة وبأعلاه قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم، وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى بباب جيرون وله دهليز عظيم يخرج منه إلا بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه، وبإزائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ماء جار.

وقد انتظمت أمام البلاط درج ينحدر فيها الدهليز فهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذور طوال وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة

فيها دكاكين البزازين وغيرهم، وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكتبين وصناع أواني الزجاج العجيبة.

والباب الغربي يعرف باب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة الشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وبأعلاه باب يصعد إيه في درج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان.

والباب الجوفي يعرف بباب النطفانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاه نعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء، ولها مطاهر يجري فيها الماء ويقال أنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة.

رحلة المقري :

المقري هو أحمد بن محمد المقري المكني بأبي العباس و الملقب بشهاب الدين ولد بتلمسان، و أصل أسرته من قرية مقرة، و قد بين حال هذه الأسرة و شؤونها عندما تحدث عن جده الأعلى أحمد المقري في المجلد الخامس، أما عن صلة الأسرة بتلمسان و صلته هو بها فقد قال في المجلد السابع) "و بها ولدت أنا و أبي و جدي و جد جدي و قرأت بها و نشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس ثم رجعت إليها ثم الرجوع إلى فاس إلى أن ارتحلت عنها للمشرق

إذن فإن أبا العباس المقري نشأ بتلمسان و طلب العلم فيها و كان من أهم شيوخه التلمساني بين عمه الشيخ سعيد المقري و لما فارقها إلى فاس في حدود الرابعة و العشرين من عمره

و في فاس مضى يطلب العلم على شيوخها إلى أن حل فيها الفقيه إبراهيم بن محمد الأيسي أحد قواد السلطان أحمد المنصور الذهبي، فأعجب بالمقري الشاب و اصطحبه معه إلى مراكش و قدمه إلى السلطان و هناك التقي بابن القاضي. و بأحمد بابا التنبكي صاحب نيل الابتهاج و بغيرهما من علماء مراكش و أدبائها و كانت هذه الرحلة مادة كتابه "روضة الأس" الذي أخذ في كتابته حين عودته إلى فاس و منها إلى بلدة تلمسان، ليقدمه إلى السلطان المنصور و لكن توفي و المقري ما يزال قي بلده[1].

و مع ذلك فإن الهجرة من تلمسان كانت قد ملكت عليه تفكيره فلم يلب ثان غادر مسقط رأسه نهائيا إلى فاس و أقام حوالي خمسة عشرة عاما، يقول في النفح: "و ارتحلت منها إلى فاس حيث ملك الأشراف ممتد الرواق فشغلت بأمور الإمامة و الفتوى و الخطابة و غيرها، و ألحق أن المقري أصبح في هذه الفترة من صدور العلماء المرموقين .

و كان المقري يشهد عن كتب انقطاع آخر صلة للعرب ببلاد الأندلس حين تفرقت الجالية الأندلسية تطلب لها مأوى في سلا و تونس و غيرهما من البلاد المغربية .

يقول الأستاذ محمد حجي متابعا السيد الجنحاني: "و كان خروج المقري من فاس بسبب اتهامه بالميل إلى قبيلة شراكة في فسادها و بغيها أيام السلطان محمد الشيخ السوري فارتحل إلى الشرق ... الخ .

[1] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، المجلد الأول، دار صادر بيروت، ص 31 .

ثم ارتحلت بنية الحجاز و جعلت إلى الحقيقة المجاز" بل إنه استأذن عبد الله بن شيخ نفسه في السفر فأذن له، غير أن إلصاق التهمة به ليس شراقة تلمسانية الموطن، و كانت تنصر عبد الله بن شيخ ضد أهل فاس، فلعل الحسد للمكانة التي بلغها المقري عند هذا السلطان خيلت لبعض سكان تلك المدينة أن المفري ضالع مع سلطانه و مع تلك القبيلة نفسها ضد الفاسيين و بغير ذلك- أو ما يشبهه- لا يمكن أن نفسر عدم عودة المقري إلى المغرب، مع شدة حنينه إلى وطنه و قسوة ما لقيه في الترحال، و خاصة ما لحقه مع شدة المضايقات أثناء وجوده في مصر .

و في أواخر رمضان غادر مدينة فاس متجها إلى المشرق فوصل تطوان و من هناك ركب السفينة التي عرجت به على تونس و سوسة حتى وصلت الإسكندرية، و منها إلى القاهرة فالحجاز بحرا فوصل مكة و بقي فيها بعد العمرة ينتظر موسم الحج، و منها توجه إلى المدينة لزيارة قبر الرسول (ص) عليه و سلم ثم عاد إلى مصر ثم زار بيت المقدس و اخذ يتردد إلى مكة و المدينة قد زار مكة خمس مرات و المدينة سبع مرات و قد أوفى هذا الجانب تفصيلا في كتاب "نفح الطيب" قال: "و حصلت لي بالمجاورة فيها [مكة] المسرات و أمليت فيها على قصد التبرك دورسا عديدة، و الله يحيل أيام العمر بالعود إليها مديدة و وفدت على طيبة المعظمة *** مناهجها السديدة سبع مرار و أطفأت إليها ما بالأكباد الحرار، و استنظأت بتلك الأنوار، و ألفت بحضرته صلى الله عليه و سلم بعض ما منّ الله به علي في ذلك الجوار و أمليت الحديث النبوي بمر أي منه عليه الصلاة و السلام و مسمع ثم أبت إلى مصر مفوضا لله جميع الأمور، ملازما خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور، و كان عودي من الحجة الخامسة ثم قصد إلى زيادة بين المقدس و ألقى عدة دروس

بالأقصى و الصخرة، و زار مقام الخليل و إبراهيم و مزرات أخرى، ثم عزم على التوجه إلى دمشق و هناك تلقاه المغاربة و أنزلوه في مكان لا يليق به، فأرسل إليه الأديب أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الحقيقية، فلما شاهدها أعجبته و تحول إليها و قد أسهب في ذكر حاله بدمشق و ما تلقاه به أهلها من حسن المعاملة، و يكفي هنا أن تقل بعض ما قاله المحبي" و أملي صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح و لما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع، اتجاه القبة المعروفة بالباعونية، و حضره غالب أعيان علماء دمشق .

و أما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد، و كان يوم ختمة حافل جدا اجتمع فيه الألوف من الناس، و علت الأصوات بالبكاء، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن، إلى الباب الذي يوضع فيع العلم النبوي في الجمعيات من رجب و شعبان و رمضان، و أتي له بكرسي الوعظ يسمع نظيره أبدا، و تكلم على ترجمة البخاري ... و كانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قريب الظهر، و كان إقامته بدمشق دون الأربعين يوما، و قد خرج جمهور كبير من علمائها و أعيانها في وداعه، عندما اعتزم العودة إلى مصر .

وحدت تلميذ له كان يلازمه و يرافقه في تقلباته بدمشق و زياراته لمعاملها – و هو الشيخ مرز الشامي- قال: "إنه ذهب معه ذات يوم لزيارة قبر الشيخ محي الدين ابن العربي في خارج المدينة"، قال: و كان خروجنا بعد صلاة الصبح و وصلنا إلى المزارة عند طلوع الشمس، فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقري: "ابتدأت عند خروجنا إلى الزيارة ختمة من القرآن لروح هذا الشيخ و قد ختمها الآن" و هذا نشء مستغرب لقصر المدة التي تمت فيها الختمة .

ثم توجه إلى مدينة غزة و نزل فيها ضيفا على الشيخ الغصين .

و كانت للمقري مكانة عند أمير غزة، فسأله تلميذه الشيخ عبد القادر ابن الشيخ الغصين أن يتوسط لدى الأمير بأن يسمح له ببناء بيت ببعض رحاب المسجد (إذا كانت دار الغصين بعيدة عن المسجد و كانت مهمته أن يقرأ و قرئ في المسجد نفسه) فقال له المقري: لابد من حضورك معي عند الدخول على الأمير، فلما دخلا عليه قدّم المقري للأمير مقدمات في فضل بناء المساجد و المدارس ثم أثنى على الشيخ عبد القادر و قال له: إنه من أهل العلم و ليس ببلدكم مثله، و أراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه و قرئ فقال الباشا مثلك لا يليق له البناء في المسجد و لكن هنا موضع نحبسه عليك —و هو موضع المدرسة- فكان إنشاء تلك المدرسة بفضل وساطة المقري، و قص الشيخ عبد القادر أيضا حكاية تدل على تواضع المقري أثناء إقامته بغزة، و ذلك أن الشيخ الغصين قال له: "يا سيدي أحمد إنا نشتهي الطعام المسمى عند المغاربة بالكسكس فهل في أصحابكم من يحسن صنعه" فما كان من المقري إلا أن صنعه لهم بنفسه و كان عبد القادر يحتفظ بنسخة من كتاب شيخه المقري المسمى إضاءة الدّجنة بعقائد أهل السنة" و عليها تعليقات بخط المؤلف قيدها لدى مروره بمدينة غزة في تلك السفرة .

و عاد المقري إلى مصر رغم إعجابه بدمشق و أهلها، و كان أثناء إقامته الطويلة بمصر قد تزوج امرأة من عائلة السادة الوفائية، رزق منها بنتا إلا أنها توفيت و يبدوا أن العلاقة بينه و بين زوجته لم تكن موشحة بالوفاق، مما اضطره إلى تطليقها، و قد زادت هذه الحادثة من تنفيض حياته

بمصر و يقول الخفاجي: إنه وجد بمصر الحسد و النفاق و تجارة الآداب ليس لها بسرقها نفاق و فيها كان يزمع الهجرة من مصر ليستوطن الشام، وافته النية في

مصر .

I. أدب الرحلة عند الغربيين:

يرى مصطفى ماهر أن رجال الدين على الأغلب كانوا أسبق أهل الغرب في العصر الوسيط إلى تسجيل رحلاتهم، ولكن الملاحين والمحاربين كانوا أسبق الناس إلى الخروج من أوطانهم.

وتعد رحلة المطران أركولفوس Arculfus عام 697م إلى مصر وفلسطين أقدم رحلة في العصر الوسيط وكانت أوربا في ذلك الوقت لم تتحد فيها ألمانيا وفرنسا وغيرها من البلدان بحدود واضحة لذا كانت اللاتينية هي أقرب لغة إلى قلم الكاتب، كذلك فعل الراهب "برنارد" عندما دون رحلته التي ساقته إلى البلاد المقدسة عام 870م وفيلليبرانت الأولد نبورجي الذي نزل فلسطين في عام 1211م وقد جمعت أخبار هذه الرحلات التي قام بها رجال الدين وغيرهم في كتاب قيم نشر عام 1900م في مدينة (أسبروك) بالنمسا من طرف الباحثان (وريشت) و(هايسنر).[1]

[1]- انظر: كارستن فيبور، رحلة إلى مصر (1962-1969)، د. مصطفى ماهر، ج7، القاهرة، دار الكتب 4343، سنة 1977، ص 05.

وقد تميزت كتب الرحلات في هذه المرحلة بالتصاقها بالكتاب المقدس فقد تضمنت ذكر الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة، والبحر الأحمر الذي عبره موسى بقومه، والجبل الذي تلقى فيه موسى التوراة.

لكن سرعان ما تطورت كتب الرحلات و لم يعد الحج إلى بيت المقدس هو الهدف، بل أصبح السعي وراء العلم والمعرفة والحرص على تسجيل الملاحظات ووصف البلاد والعباد يشد الكثير من الرحالة.[1]

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأت أوربا تتعرف على الإسلام، بعد أن عاشت قرونا مرعوبة منه ونافرة، وترقب خائفة مذعورة مما أحدثه من تغيير في ميزان القوى العالمية، فبدأت تدرس واقعه بطريقة علمية عن طريق الرحلات ومراكز الأبحاث الجامعية.[2]

وقد تعددت الرحلات وتنوعت وشملت العديد من الدول وأصبح الشرق يشكل الكعبة التي يتوافد إليها الرحالة الغربيون.

1. الرحلات في الأدب الإنجليزي:

تعتبر رحلات كابتن كوك وإيوثين "لكنجليك" ورحلات "جاليغر" لجوناثان سويفت وروبنسون كروزو ولدنيال دييغو من الأعمال التي تدخل ضمن أدب الرحلات في الأدب الانجليزي.

ويمكن التمييز بين نوعين على الأقل من كتب الرحلات:

[1]- الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ط4، القاهرة، مكتبة الأدب، ص 308.

النوع الأول:

وهو وصف الرحلة الذي يشكل نوعا متخصصا من الكتابة يدخل في باب الأدب إذا اكتملت له بعض الصفات الأدبية.

أما **النوع الثاني:**

فهو نوع من الأنواع الأدبية المعروفة كالدراما والشعر والرواية، يتخذ شكل الرحلة أو تشكل الرحلة عنصرا هاما من عناصر تكوينه، كما هو الحال في كوميديا شكسبير المعروفة (العاصفة) وقصيدة (الملاح العجوز) للشاعر الرومانسي (كولريدج).

كما يمكن أن تكون الرحلة خيالية على مستوى الواقع الخارجي، كما هو الحال في قصة (روبنسون كروزو) التي يقوم فيها البطل الخيالي برحلة يدعي الكاتب أنها رحلة حقيقية تنتهي به إلى جزيرة غير مأهولة، يعيش فيها بمفرده.[1]

يمتاز الرحالة الانجليز فيما بين (1550-1660) أمثال هالكوت ودامبير وانسون كل له أسلوبه واتجاهه الخاص، ومع ذلك فقد كانت تجمع بينهم صفات عامة أهمها أنها جميعا رحالة في المقام الأول، أما هدف معظمهم فكانت إعطاء المعلومات التي كانت مفيدة أكثر منها شيقة، وقد امتازت الرحلة خصوصا حوالي القرنين السادس والسابع بالتجارة أو اكتشاف بلاد جديدة أو الحصول على الذهب مما قرض نوع من الحبكة على الرحلة.

[1]- مجلة الهلال المصرية، ع7، القاهرة، دار الهلال، 1975، ص 50.

أما مقدرة الرحالة الأدبية في جعل أسفارهم مثيرة ويرجع إلى استعمالهم ألفاظ سهلة وأسلوب خالي من الصنعة وخلق جو المكان الذي يصفونه بشكل يشعر القارئ وكأنه يتابع الرحلة بنفسه.

ومن الرحلات التي ميزت هذه الفترة "الرحلات البحرية الرئيسية"، 1989 لرتشارد هاكلوت (1552-1616) واكتشاف أعيانا 1596 للسير والترالي.

أما في القرن الثامن عشر الذي اتسعت فيه رقعة الإمبراطورية البريطانية حتى شملت الهند فاتسع مجال الرحالات وشملت جميع بقاع العالم تقريبا، وفي منتصف القرن الثامن عشر أصبحت الرحلة إلى إيطاليا وفرنسا حلم الجميع، وزادت الرحلات إلى الشرق وإلى مصر.[1]

وفي الثلث الخير من القرن الثامن عشر اتجه الاهتمام إلى إفريقيا، وهذا الاهتمام كان بدافع الاستعمار فقد أرسلت بريطانيا بعثات عسكرية لاكتشاف دواخل إفريقيا والاستفادة منها تجاريا وسياسيا وربط علاقات مع القبائل الإفريقية وقد اختبر مجموعة من الضباط عرفوا بشغفهم للسفر وارتياد المناطق المخيفة.

وقد وقع الاختيار على الضابط ألكسندر جوردون لينج الذي امتاز بحبه للسفر والبحث عن المخاطر، وقد درن رحلاته على شكل رسائل وملاحظات نالت شهرة واسعة امتازت بالمهارة والدقة في الوصف، وكان لينج ينشد من وراء رحلته إلى الشهرة فأراد اكتشاف ما لم يكتشفه غيره من الرحالين، فوجد نهر النيجر لغز محير شغل بال الكثيرين فانطلق يبحث فيه.[2]

---

[1]- انظر المرجع السابق، ص 54.

[2]- حلمي ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية نقله: رنا قباني، أساطير أوربا عن الشرق، مجلة الهلال المصرية، ع7، دار الهلال، 1975، ص 56.

ومما يلاحظ على أدب الرحلات في القرن 19 أن الاهتمام لم يعد مقتصرا على وصف البلاد، بل أصبح العلماء الطبيعيين يقومون برحلاتهم بدافع علمي ومن أهم هذه الرحلات رحلة البيجيل (1839) لتشارلز داروين، وقد قام فيها بجمع كمية ضخمة من العينات البيولوجية التي استخدمها في نظريته عن النشوء والارتقاء، كما لا تخلو هذه الرحلة من الجمال والقدرة على اجتذاب القراء.

كما يعد كتاب جورج بورو "الثورة في إسبانيا" 1843 من أشهر كتب أدب الرحلات خلال هذا القرن وقد استطاع الكاتب أن يخلق جو إسبانيا ويضفي الحيوية على البلاد وسكانها.

أما الكاتب الشهير لورنس فكتب رحلاته تتمتع بالشهرة فرحلته "البحر وسردينيا" التي قام بها في 1921 من صقلية إلى سردينيا ومنها إلى إيطاليا تعد رحلة نادرة، أما كتابه (الفسق في إيطاليا) فوصف فيه الحياة في قرية على بحيرة طردا، حيث أمضى لورنس بعض الوقت، وهنا يخلق لورنس روح المكان وينفذ إلى حياة الناس وتظهر شخصية الكاتب في صورة غضب من الحياة في تلك القرية التي تحولت شيئا فشيئا إلى حياة الآلات، فقد أحب لورنس الحياة الطبيعية البدائية وكره الحياة الصناعية والسعي وراء المال، والبعد عن الطبيعة وجمالها وبساطتها، كما كتب لورنس "صبحيات في مكسيكو" أما فوستر فله روايتان عن الهند الأولى بعنوان "جبل ديفي" وهي مجموعة من الرسائل يصف فيها رحلته إلى الهند واستنادا إليها كتب رواية "رحلة إلى الهند" وهنا ينقل الكاتب ما تثيره الهند في النفس من إحساس بالإثارة والترفيه والفضول ويدون انطباعاته المباشرة بوضوح عما يقابله من أشياء وأحداث.

2. الرحلات في الأدب الفرنسي:

أرادت فرنسا التعرف على بلدان العالم عن طريق الرحلات التي قام بها العديد من الرحالة واستفادوا كثيرا منها، فقد جاء الطبيب الرحالة فرانسوا برينيه (1920-1688) إلى مصر والشام عام 1654، كما أقام في الهند حتى سنة 1668 وأصبح طبيب السلطان المغولي أورنجيديت (1658-1808) ثم عاد إلى وطنه فرنسا يحمل معه ترجمة فارسية لكتابه "Upmochads".

وقد كان فرنسوا رينيه يتردد على صالون مدام دي لاسبير (1636-1693) وصديقه لافونتين الذي أعجب بمجموعة من الحكايات الخرافية ترجمت من الفارسية إلى الفرنسية عام 1644 تحمل عنوان "كتاب الأنوار" أو "أخلاق الملوك".

وفي سنة 1697 نشر أنطوان جالان "المكتبة الشرقية" وهي سجل حافل بتراث الإسلام، وقائمة غنية بالمصادر العربية، كما قام جالان بترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة الفرنسية.[1]

وقد تعددت أسباب هجرة الرحالة فمنهم من يبحث عن لقمة العيش ومنهم من يدفعه حسه الفني المرهف إلى البحث عن القديم وتذوقه ومنهم من يبحث عن الحرية في بلاد أخرى، فقد هاجرت مادام ديستايل إلى ألمانيا ضائقة ذرعا بما تعانيه فرنسا من طغيان نابوليون، ومن تحكمه من حرية الأفكار فيها، وقد جاءت أفكارها مشوبة بنوع من المثالية التي تحلم بها، وقد كانت الصورة التي رسمتها مادام ديستايل صورة غير صادقة ومبالغا فيها لأنها لم ترهن ألمانيا غير رجال الأدب من المجتمعات الأرستقراطية ورجال السياسة وبعض الفلاسفة في برلين.

[1]- د. الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ط4، القاهرة، مكتبة الأدب، ص 310.

3. الرحلات في الأدب الإيطالي:

يعد كتاب "عجائب الدنيا" أو "المليون" لصاحبه ماركوبولو والرحالة الشهير من أقدم ما كتب في أدب الرحلات في إيطاليا (1254-1324) وهو عبارة عن مذكرات تاجر برع ماركوبولو في تسجيلها بدقة ورصد كل ما رأى وكل ما شد انتباهه، وقد أثار هذا الكتاب اهتمام جمهور القراء الغربيين على اختلاف مستوياتهم وبلادهم ومعتقداتهم.

ويقوم الكاتب في كتابه بسرد ذكرياته وهو في سجنه بعد خمسة عشرة عاما من عودته من رحلته الطويلة التي قادته إلى الشرق والتي دامت أربعة وعشرين سنة وهي فترة شبابه، وقد امتاز رحالنا بحب الاستطلاع والولع الشديد بالبحث عن كل ما هو عجيب وغريب كما أنه ينتقل بسهولة ويسر في حديثه عن الموارد والمواد التي تشغل اهتمام التجار، ثم يتحدث عن الناس وعن معتقداتهم وفضلهم ورذائلهم وعاداتهم.

ومما لاشك فيه أن كتابه (المليون) يعتبر من أهم ما كتب في أدب الرحلات في إيطاليا وذلك من الناحية التاريخية فهو من أول المؤلفات التي كتبت بإحدى اللغات العامية التي كانت تسود إيطاليا في ذلك الحين وإذا ما انتقلنا إلى القرن 18 نجد أن أديب الرحلات يتخذ الطابع الفكري العام لعصره ويمثل في حد ذاته لونا هاما من ألوان النثر في تلك الآونة، فقد تعددت ميول الكتاب ورجال الفكر واهتماماتهم باحتكاكهم ببلاد وعادات وتقاليد ومجالات وشخصيات معاصرة لهم سواء في إيطاليا أو في البلاد الأوربية.

ومن المؤلفات الجديرة بالذكر في هذا المجال والتي ترتبط ارتباطا وثيقا من حيث المضمون بمشاكل عصر التنوير وفكره، (رحلات أتريكو ونطن) في الأراضي الاستوائية المجهولة، وفي مملكة القردة، وقد نشر عام 1764 بالبندقية لكاتبه "الفينيسي الأرميني" الأصل – سيرمان (1708-1784) يعرض الكاتب في كتابه هذا لتجارب فاشلة عاشها صديقان انجليزيان (انريكو) و(روبرتو) في بيئة خيالية في أراضي تسكنها شعوب همجية، خرافية، وعن طريق هذا العرض أراد الكاتب أن يصور بالرمز والتشبيه، عادات عصره وفكره في أسلوب ناقد ساخر، وبهذا الأسلوب كان الكاتب يتطلع إلى إرساء مجتمع حسب مبادئ المستنير.

أما خط أدب الرحلات بين أنماط الأدب في القرن 20 فقد كان وفيرا ويرجع ذلك إلى التقدم الكبير في وسائل المواصلات وسرعتها مما ساعد الكثيرين على الانتقال في سهولة ويسر إلى بقعة من بقاع العالم، كما يرجع ذلك إلى عامل هام آخر ألا وهو أن بعض الكتاب عملوا كمراسلين للصحف ومندوبين لدور النشر في بقاع كثيرة من العالم وهكذا نالوا حظهم من الرحلات التي قاموا بها في بلاد غريبة عليهم وكان أن سجلوا رحلاتهم وأحاسيسهم في إنتاج أدبي وفير.

ومن بين هؤلاء جويد وبيوفيني (1907-1974) وهو من الأسماء اللامعة في الأدب الإيطالي منذ الحرب العالمية الثانية ونشرت له روايات عديدة منها (النجوم الباردة) التي نال عنها جائزة سنة 1970م، كان بيوفيني يعمل مراسلا صحفيا لجريدة (كوريري ديلاسيرا) (1935-1952) ولجريدة (لاستامبا) منذ 1952 هذا إضافة إلى أنه كان يشترك في تحرير المجلة الأدبية

(سورلاريا) وقد ساعدت ظروف عمل الكاتب في الصحافة على كثرة سفره والتقائه بمجالات ومجتمعات مخالفة في إنجلترا وبولندا وبلغاريا وفرنسا والولايات المتحدة، فانعكست صورة هذه المشاهد واللقاءات على كتاباته العديدة ولذا فإن كتبه عن الرحلات اتسمت بقدرته على تصوير ما يصادفه، ومع أن هذا التصوير كان وليد الواقع إلا أنه لا يخلو من إحساس الكاتب، لن نمر على إيطاليا دون أن نتحدث عن الكاتب الإيطالي الكبير البرتو مورافيا فقد اهتم هو الآخر بهذا اللون ونشر مؤلفات عديدة كانت كلها وليدة زيارة لبلاد مختلفة مثل الاتحاد السوفياتي والهند والصين وبلاد إفريقيا، فقد كتب "شهر في الاتحاد السوفياتي" 1958 و"فكرة عن الهند" 1962 و"إلى أية قبيلة تنتمي؟" 1972.

يتحد مورافيا عن بلاد إفريقيا، عن نهجه وغرضه من الكتاب على النحو التالي: "كتبته أثناء رحلتي في إفريقيا التي قمت بها للترفيه عن نفسي ورغبة مني في التغرب، دون أن أتعمد إجراء تحقيقات أو بحوث مما يسعى الكتاب إلى إجراءها "عمدا" عندما يكونون بصدد الكتابة عن رحلاتهم في إفريقيا، وددت أن أنقل نفسي فقط وقد جاءت تسمية كتابه (إلى أية قبيلة تنتمي؟) عندما قام مورافيا بجولة في أوغندا رغبة منه في رؤية الأسود، وهنا سنحت الفرصة ليتعرف على الكثير، فوصف طريقة الحياة فيها وتحدث عن عادات القبائل وعن عصبيتها وهناك التقى برجل إفريقي وتبادلا الحديث الذي انتهى بسؤال الإفريقي لمورافيا "إلى أية قبيلة تنتمي؟" وقد شد السؤال انتباه مورافيا وأطلقه على كتابه ومن الخصائص المميزة التي اتسم بها وصف مورافيا لمشاهداته في

رحلاته أنه لا يقف موقفا سلبيا اتجاه ما يراه أو ما يسمعه بل إنه ينقل نظرته وأحيانا حكمه ويحاول أن يدرسه ويحلله بروح الناقد.

وتحت عنوان "رقصات الإفريقيين لاجوس"، أفريل 1963 يثير رقص الإفريقيين اهتمام وشغف مورافيا فيرى مورافيا أن في القارات الخمس هناك شعوب بدائية تعبر بالرقص عن مظاهر حياتها الدينية والاجتماعية لكن الإفريقي هو الوحيد الذي نجح في أن يصبح رجلا حديثا مع احتفاظه الكامل بمقدرته الأصيلة على الرقص حيث يشهد بأن الرقص الحديث الذي يعتبر من مظاهر الحضارة الصناعية يرجع في أصوله إلى الإيقاع البدائي الذي أدخله الإفريقي في العالم الحديث.

وبينما اهتم العديد من رجال الفكر في أوربا بوصف المجتمع الأمريكي وعقد مقارنة بين القارة القديمة والقارة الجديدة، نجد أن تحقيقات بيوفيني الدقيقة تتجاوز هذه القاعدة لتعطي صورة للولايات المتحدة بكل دقائقها وخصائصها التي أقبضت روح البحث والدراسة في نفس الكاتب، فقد أتت رحلته في شكل ملاحظات والتي كان يرسلها إلى جريدته بعدما جمعها في كتابه (عن أمريكا).

ولقد نجح بيوفيني في مهمة المراسل الصحفي بمقدرته الكبيرة على الوصف والتحليل وتتبعه لأدق التفاصيل.

وقد تحدث بيوفيني عن منهجه المتبع في الكتابة قائلا: "كان في إمكاني القيام برحلة أسرع بهدف بيان الأوضاع العامة في البلد بدلا من الرصد التفصيلي لأجزائها المختلفة، ولكن هذا

المنهج[1] كان سيقلل من القيمة التسجيلية للكتابة حتى وإن كانت بعض المميزات من بينها أنه يبرز وقائع قد تختفي في زحمة التفاصيل الدقيقة، أو تظل قابعة في المكان الثاني فلا تستطيع الملاحظة المبنية على الأحداث التوصل إليها.

يدون بيوفيني إحساسه اتجاه مظاهر الحضارة الأمريكية في كتابه (عن أمريكا) بأسلوبه الخاص فيقول: "ليست الحضارة الأمريكية حضارة آلية في أساسها فأساسها قلق، مضطرب ولكنها حضارة تمتلك قلعة ضخمة من الآلات نفخر بها، كما نفخر بالأعمال الفنية"، وحين يصل الكاتب في جولته إلى شيكاغو ينتبه إلى ظاهرة يلحظها فينقلها إلى القارئ في سرعة ودقة وحياة الشارع موجودة في أمريكا، وكلنها ليست نفس الحياة القائمة في شارع (مونتي ناباليون) أو (التشانزليه) إنما هي تختلف عنها اختلافا جذريا لأنها حياة قائمة على المحركات.

4. الرحلات في الأدب الألماني:

كانت معظم رحلات الألمان تتخذ منحنى ديني فقد شكل الكتاب المقدس المنطلق، والحج هو الهدف من رحلاتهم لكن سرعان ما تغير هذا المفهوم وأصبح السعي وراء العلم والمعرفة والحرص على الأخبار العجيبة والمغامرات المسلية يشد الكثير منهم ومن أمثلة الرحلات المدونة رحلة (فون برايدنباخ) وفابري في عام 1483 ورحلة (ارلوند فون هاوف) التي بدأها في عام 1496 وختمها في عام 1499، وحل خلالها في مصر في أيام السلطان المملوكي قاتيباي، وفي رحلة (فون هاوف) يتبين أن أهداف أولئك الرحالة قد تغيرت كما تحل رحلة (ليونهارت راوولف) على عصر النهضة قد غير أفكار حملة الثقافة في ألمانيا، وأن التقصير العلمي الدقيق

[1]

للأشياء بدأ يأخذ مكانه في كتب الرحلات التي انتحت المنحنى العلمي وأصبحت تسعى إلى تصحيح الخرائط الجغرافية، والحصول على معلومات ميدانية تفيد في شرح الكتاب المقدس، وفي تطوير المعرفة التاريخية المعتمدة على كتب قدماء اليونان واللتين، وجميع المعلومات العلمية التي تفيد التجار، وتفيد الساسة في بداية عصور الاستعمار الحديث ويتحدث (هانس رودولف رينجر) عن رحلة راوولف فيقول: "نزل ليونهارت راوولف في سبتمبر من عام 1573 طرابلس – لبنان وظل حتى عام 1576 يجوب سوريا ومنطقة نهر الفرات وكردستان وكان في هذا الوقت المبكر حريصا على الأسلوب العلمي في ملاحظاته التي دونها، ومجموعاته التي جمعها".[1]

خرجت الرحلات إذن عن النطاق الضيق الذي كانت محصورة فيه واتجهت الاتجاه العلمي، ثم اتجهت إلى الإمتاع على طريقة الروايات الأدبية المسلية المليئة بالمغامرات وتعتبر رحلة (يوهان قيلد) الذي وقع في الأسر أثناء الحروب مع تركيا، وبيع كما يباع العبيد وجيء به إلى الشرق في عام 1604 نموذجا لهذا النوع من كتب الرحلات، فيوهان قيلد رجل بسيط لا يطمح إلى إثراء العلوم بشيء بل يحكي قصة حياته المليئة بالمغامرات وقد راج الكتاب رواجا شديدا وتعددت طباعته، ويمكن القول أن أنواع الرحلات وهي: الرحلة العلمية، الرحلة المسلية، الرحلة الدينية، الرحلة السياسية أصبحت واضحة المعالم وإن كل نوع منها سار في طريق التطور فمنها ما انكمش مثل:

[1]- كارسين فيبور، رحلة مصر (1961-1962)، ج1، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتب 4343، 1977، ص 06.

الرحلة الدينية ومنها ما عظم شأنه مثل الرحلة العلمية التي تسعى إلى كشف جغرافي أو جيولوجي أو أثري، وتعتبر رحلة كارستن نيبور (1733-1815) حلقة هامة في سلسلة الرحلات العلمية.

وقد تولدت فكرة هذه الرحلة العلمية عندما أخذ الأستاذ (يوهان دافيد ميشائيليس)[1] (1717-1791) يطبق في شرح الكتاب المقدس منهجا قائما على الرجوع في تفسير الكلمات والعبارات المختلفة إلى الواقع الملموس وكان من الضروري أن يذهب واحد من علماء اللغات السامية إلى البلاد العربية وقد تم رفع هذا الطلب إلى البلاط الملكي الذي وافق على هذا الطلب واختير كارستن نيبور.[2]

وتعد هذه الرحلة أول بعثة استطلاعية المنتظمة التي أرسلها الملك الدانماركي في عامي (1761-1767)، وقد امتاز كارستن نيبور بالدقة العلمية في وصفه لبقايا آثار بابل نينوى وفي استنساخ نماذج الخط المسماري.

II. المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب:

بدا اهتمام الغربيين ببلاد الشرق ومبعث ذلك أسباب كثيرة فمنهم من قصد هذه الديار مستطلعا حال بلدانها وأثارها، دارسا لغاتها وتاريخها وصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات ووضعوا الخرائط، ومنهم من وجه اهتمامه إلى مصنفات الأقدمين.

[1]- المولى إسماعيل، كلية الأدب، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات 1993، مطبعة فضالة المغرب، ص 29.
[2]- المرجع السابق، ص 07.
[3]- المولى إسماعيل، كلية الأدب، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات 1993، مطبعة فضالة المغرب، ص 29.

ومع بدايات القرن 19 تعدى الانجذاب إلى شرق مرحلة الدهشة والانبهار لدى الرحالين الأجانب إلى محاولة اكتشاف جديد ومشوق للشرق ورغبة في معرفة أدق عن الآخر ما بين روائع آيات الماضي ومعاقد التاريخ من ضفاف النيل وطور سينا إلى المغرب العربي باختلاف مناطقه وما يحف بهذه الأصقاع من آثار مقدسة، وما نهض في أحضان هذا التاريخ من إبداعات فكرية وحضارية تكونت حصيلة ضخمة من معارف أوربا عن الشرق، وقد مكن الاستشراق الاستعمار الأوربي من التوسع، فكانت عيون المستشرقين تتجه نحو بلاد الشرق ولم يكن ما كتبوه مجرد تسجيل لانطباعاتهم بل تلقوا تدريبا أكاديميا مكثف تشرف عليه جامعة، وتمتعوا بالدعم المالي من حكوماتهم والجمعيات والمؤسسات العلمية.

وقد اتسمت أوصافهم بالدقة، حيث نجد كثيرا من التفاصيل في عرض دقيق للمدن العربية فحصا للتقاليد وأنماط السلوك ودراسة للأوضاع الاجتماعية والثقافية التي لا تخلوا من نوازع سياسية واستكشاف لما يحقق مصالح دولهم، وقد نقل هؤلاء الرحالة أثناء تواجدهم بالمشرق العربي ما انطبع في حياتهم، نتيجة لما رأوه في أسفارهم من مناظر طبيعية[1] ومعالم حضارية وعادات قومية.

1. صورة المشرق عمد الرحالة الانجليز:

حظيت مصر باهتمام الرحالة الانجليز في أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر وقد أدى هذا إلى ازدهار أدب الرحلات الخاصة بها فمرده إلى ظهور ترجمات جديدة لكتاب "ألف ليلة وليلة" ثم نتيجة للحملة الفرنسية وما أثارته من اهتمام بتاريخ مصر وآثارها وأهميتها الإستراتيجية ويعتبر النقاد أشهر كتب الرحلات الإنجليزية ما كتب عن مصر ومن

[1]- بورارير عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، رسالة ماجستير، شعبة أدب الرحلات، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008.

أمثلة ذلك إلى جانب (المصريين المحدثين) اليوثين (1844) لكنجليك، ويعتبرها النقاد أشهر كتب الرحلات في الأدب الانجليزي على الإطلاق و(الهلال والصليب) لأليوت واربرتون وكتاب هاربيت مارتينو "الحياة في الشرق حاضرها وماضيها" 1846م، و"حياة القرية في صعيد مصر" (1852)لبين سانت جون، ثم "رحلة من كورنهيل إلى القاهرة الكبرى" 1846 للروائي الكبير ثاكري وفي هذه الكتابات يتجلى سحر مصر نيلها وصحرائها، قراها ومدائنها القديمة وآثارها وطباع أهلها".[1]

كما نجد رحلة كلود اثيان سافاري الذي كان منبهر بحضارة الشرق والتي استغرقت بمصر ثلاث سنوات توجت بكتابه (رسائل حول مصر Lettres sur l'Egypte) ليأتي من بعده قولناي ويقوم برحلة إلى سوريا ومصر ويكتب رحلة إلى سوريا ومصر " Voyage en Syrie et en Egypte"، وقد انحصرت الرحلة في هذه المرحلة في تسجيل الأنطباعات لبعض المعالم الحضارية ووصف للمناظر الطبيعية وتصوير للعادات والتقاليد.[2]

ومن الطبيعي أن تتطور كتب الرحلات عن مصر، فبينما كان اهتمام الرحالة بوصف الأماكن والآثار والمتاحف، أصبح اهتمامهم منصبا على أهل البلاد وقد اجتذب سحر مصر السياح والتجار وعلماء الآثار ودارسي الكتاب المقدس والأدباء والفنانين، بحيث يعتبر أدب الرحلات عن مصر ثورة ضخمة من الكتابات المتنوعة في الأدب الانجليزي.

[1]- د. انجيل بطرس، الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال المصرية، ع7، القاهرة، دار الهلال، 1975، ص 54-55.
[2]- ليلى جباري، صورة الغرب في الرواية العربية، (المشرق العربي نموذجا)، دكتوراه الدولة في الأدب المقارن، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الأدب واللغات، 2005-

وما لبثت أن اتسعت رقعة الرحلات الانجليزية بحثا عن أماكن غامضة واكتشافها فقد رحل الكسندر جوردون لينج وهو ضابط برتبة رائد، إلى طرابلس (ليبيا) لأنها من أهم المنافذ إلى دواخل إفريقيا، ولأنها كانت تسيطر على طرق القوافل المتجهة إلى مرزق وإلى غدامس، ومنها إلى توات في الجزائر، حيث كان لينج يأمل الاتجاه منها إلى مدينة تمبكتو على نهر النيجر فيحقق حلما يبني له مجدا شخصيا ويحقق لحكومته انتصارا لأن انجلترا كانت تريد استغلاله التجاري ثم لتحقيق أطماعها الاستعمارية في إفريقيا.[1]

وقد ادعى ريتشارد بيرتون "Richard Burton" الإسلام ولبس زي الدراويش من أجل دخول مكة والمدينة وزيارة الأماكن المقدسة وقد دون رحلته إلى الحجاز عام 1853 في كتابه "Personale nanativeofapilgrimage" الذي يقع في جزئين: Tool – Madinah et Meccah بالإضافة إلى وصف الأماكن المقدسة وما يحف الرحلة إلى هناك من مخاطر ومصاعب يعطي بيرتون معلومات اثيوغرافية جمة عم قبائل الحجاز وحياة البدو في الصحراء، ولما توفي في 1890م بنت له زوجته ضريحا كبيرا على هيئة بين من بيوت الشعر البدوية.[2]

و لم تمض عشر سنوات على رحلة بيرتون حتى شد الرحال في أثره انجليزي آخر وهو وليام بالغريف William – Gifford palgrane الذي بدأ رحلته عام 1862م، مدعيا الطب تحت اسم مستعار ورافقه مدرس إغريقي مقيم في رحلة في لبنان ويجيد العربية، ومن معان سافر

---

[1] أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقون، ص 08، www.saadso.wayan.com

الاثنان وابنه إلى الجوف ثم إلى حايل وهناك تقابل بالغريف مع الأمير طلال بن رشيد، وفي الرياض قابل الإمام فيصل وابنه عبد الله الذي قال عنه أنه قريب الشبه بهنري الثامن في طلعته وفي شجاعته واعتزازه بنفسه ومهاراته السياسية، ونجد من ذهب بالغريف إلى البحرين وقطر وعمان ويدعي أن السفينة التي استقلها من هناك تحطمت في عرض البحر وفقد كل مذكراته.

ومن الأعمال الكلاسيكية الخالدة التي لا نظير لها بين كتب الرحلات كتابه تشارلز داوتي "Charles Montaga Songhty" وعنوانه رحلات في صحراء العرب "Travels in Arabia Desertes" عايش داوتي البدو عاشرهم في حلهم وترحالهم، وفي الشدة وفي الرخاء، وفي السلم والحرب، وشاهد بعينه عمليات الغزو وتعرض هو نفسه للسلب، ويصف داوتي كل مشاهداته وانطباعاته وصفا دقيقا شيقا، لا تفوته شاردة ولا واردة ورغم أنه كان شديد التعصب لدينه المسيحي وعلى الرغم أيضا من رؤيته المتحيزة أحيانا يبقى كتابه عملا عملاقا مثيرا تتجدد قيمته مع مرور الوقت نظرا لما يحتويه من معلومات تفصيلية عن حياة البادية والحاضرة في الشمال.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي توافد على حائل وشمال نجد عدد من الرحالة والمستكشفين كالليدي بلنت "Lady Anne Blun" التي جاءت من انجلترا بصحبة زوجها ولفريد سكاوين بلنت ولا تخفي الليدي بلنت في كتابها "Pilgnimagef Nejd" عشقها وزوجها لحياة الصحراء وتعاطفها الشديد مع البدو وتعطي معلومات شيقة، ونظرا لكونها امرأة أتيحت لليدي فرصة لم تتحها لغيرها فولجت إلى داخل قصور الرشيد وخالطت نساءهم

واطلعت على خصوصياتهم العائلية وكتبت عن ذلك بشكل مفصل، وتقول أنها رأت في بلاط ابن رشيد ولأول مرة جهاز التلفون الذي كان آنذاك اختراعا حديثا لم تكن قد رأته قبل وصولها إلى حائل.

ومما يلاحظ على كتابات هؤلاء الرحالة والمستكشفين أنها تتراوح بين الرومانسية المفرطة والتحيز الشديد وتغلب عليها روح المغامرة وإنها أقرب إلى الأسلوب الروائي الأدبي منها إلى الأسلوب العلمي التوثيقي غالبا ما يحتل الكاتب المغامر في هذه الأعمال المركز البطولي الذي تتسلط عليه الأضواء وتتمحور حوله الأحدث وتطغى على عمله السمة الانطباعية والصبغة الذاتية فيحكم على الأمور من منطلق قناعته الشخصية وخلفيته الاجتماعية والثقافية ويقيم الناس والأحداث وكل الأشياء كمجرد وسائل وأدوات تعينه أو تقف دونه ودون الوصول إلى أهدافه وتحقيق طموحاته ويصل هذا المنهج ذروته عند لورنس Lowrence T.E في كتابه أعمدة الحكة السبعة Seven Pillars of wisdom.

وخلال فترة خدمته في الجيش البريطاني في العراق والأردن اتصل الضابط البريطاني جلوب باشا John Baggot glubb بأبناء البادية وتعرف على حياتهم وكتب عنهم عدد من الكتب والمقالات ويقدم جلوب باشا في كتاباته معلومات عن حركة الإخوان وزعمائهم وطرقهم في الغزو والغارات[1] التي كانوا يشنونها على مناطق الحدود العراقية، ومن الكتب المهمة حركة الإخوان وعن حياة البدو وعموما كتاب "The Arab of the desert" الذي كتبه ديكسون H-R-P-Dichrson والذي أمضى سنين طويلة في العراق والبحرين والكويت.

2. صورة المشرق عند الرحالة الفرنسيين:

لقد انعكست للشرق الإسلامي صورة في الأدب الفرنسي إتباعا للعصور المختلفة وفي العصور الوسطى التي عادت فيها النزاعات الدينية وتحكم التعصب الأعمى، ظهر المسلمون في الأدب الفرنسي ملامحه ومسرحياته في صورة وثنيين لا أخلاق لهم سرعان ما ينهزمون أمام أبطال المسيحية فيرتدون عن دينهم[1] وفي عصر النهضة انصرف الأدب الفرنسي عن الشرق الإسلامي وتصوير أهله ولى وجهه شطر الآداب القديمة اليونانية واللاتينية يستوحيها ويحكيها ولكن الاهتمام الشرق ما لبث أن احتل مكانة في الأدب الفرنسي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فظهرت له فيها صورة أخرى مخالفة لتلك التي سادت في العصور الوسطى فالشرق في أدب هذين القرنين جميل الطلعة طلق المحيا، خصب الخيال، يشوبه بعض الغرور... وهو طيب الشمائل مهذب الخلق محمود العشرة، كريم الضيافة، ثم إنه متسامح لا تعصب عنده، يحترم حرية غيره في الاعتقاد ومهما اختلف معه في العقيدة وهو محب للاستمتاع، ميال إلى الكسل، يؤمن بكثير من الخرافات ويخضع خائفا لنير طغاة مستبدين من حكامه.

وكان لما لقى الرحالة الفرنسيون من كرم الضيافة وحسن الاستقبال أثناء رحلاتهم في الشرق، ولكنهم أطالوا في الوصف نفس الحكام وسوء استعمالهم لسلطانهم، وفي وصف الطاعة المطلقة من الشعوب الشرقية الذليلة التي لا يرتفع صوتها بالاحتجاج، وقد اتخذ بعض كتابهم ذلك وسيلة لمهاجمة سلوكهم تحت ستار مستعار من الشرق ونظم الحكم فيه آنذاك، كما كان من

[1]- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدية والبلاغي عند العرب، ط3، بيروت، ص 332-334.

أولئك الكتاب من هاجم التعصب الديني، وشنوا حربا شعواء على العقائد السائدة، متخذين من الشرق أمثلتهم في التسامح وحرية الاعتقاد.

وفي بداية القرن 19 نشطت العلاقات بين مصر وفرنسا نشاطا محسوسا مرجعه الظروف السياسية والعلمية السائدة آنذاك، خاصة حدث تميزت به الآداب الفرنسية في ذلك القرن ألا وهو "الميل إلى الغريب" وقد اتخذ موضوع مصر في الأدب الفرنسي آنذاك، أشكالا مختلفة، ومن ثم فقد كانت هناك ثلاث فئات من الكتاب الذين تحدثوا عن مصر الذين تحدثوا عنها دون أن يروها وإنما قرأوا عنها... والذين تحدثوا عنها دون أن يروها... والذين تحدثوا عنها مستوحين تجربتهم الشخصية وملاحظتهم للواقع مباشرة... وبالتالي تنقسم الأعمال الأدبية الفرنسية التي عالجت موضوع مصر، أعمال خيالية بحتة، وأعمال يستند فيها الخيال إلى الواقع، وأعمال كانت ثمرة لملاحظة الواقع مباشرة، ومن الكتاب الذين تحدثوا عن مصر أسماء لامعة معروفة لدى القارئ العربي أمثال شاتوبريان، جيرارد نرفال، غوستاف فلوبير، أوجين فرومونتان، فيكتور هييغو، أناتول فرانس وغيرهم.

ويعد جيراردي نرفال أول من اهتم بمصر اهتماما خاصا وأول من عالج موضوعها معالجة فنية رائعة، فلقد تحدث عنها في كتابه "رحلة إلى الشرق" وفي رواية رمزية لاحقة بهذا الكتاب "قصة الخليفة الحاكم"... وقصة قصيرة "إيزيس" وقصيدة أسطورية "حورس" ضمن ديوانه "الأوهام".

لقد كانت قراءته لديوان فيكتور هييغو "الشرقيات" قد فتحت له أبواب الشرق على مصرعيها، كما أنه درس منذ صباه، التاريخ والآداب الشرقية والخط الفارسي والعربي.[1]

والواقع أن الأسباب التي دفعت نرفال إلى طريق الشرق أسباب شخصية فقد كان عام 1841 عاما أليما في حياته، شهد نهاية علاقته بالمغنية جين كولون التي أحبها حتى العبادة وقد قضى ثمانية أشهر في مستشفى دابلانش، وبعد أن خرج من المستشفى أراد أن يغير حياته ويثبت للناس أنه ليس مجنونا وإنما هو ضحية حادث عابر، وكانت الرحلة هي العلاج – طبعا الرحلة إلى الشرق، فقد استفاد منها واسترد ثقته بنفسه وبالحياة.

ركب نرفال المركب من مرسيليا في أول جانفي 1843 وصل الإسكندرية في 15 جانفي ثم إلى القاهرة عن طريق النهر في 25 جانفي وأمضى بها 3 أشهر، وبعد أن عاد من رحلته أراد أن يجعل من مذكراته كتابا يدعم مكانته كشاعر وأديب.

كانت الإسكندرية أول مدينة مصرية تراءت له، إلا أن أبنيتها الأوربية خيبت أمله وتركت في نفسه أثرا سيئا و لم تحظ آثارها، خاصة حمامات كليوباترا وعمود الصواري باهتمامه، وسارع بالذهاب إلى القاهرة التي حلم بها وتخيلها وكأنها مدينة من مدن "ألف ليلة وليلة".

وقد وجد نرفال أن حلمه لم يكن خيالا بل اشتمل على جزء كبير من الواقع، وشدت انتباهه شوارع القاهرة التي تعج بالحياة الشرقية، بكافة مظاهرها، وكل ما فيها من بذخ وفقر، تجلس فيها بائعات البرتقال والموز والقصبر اللاتي يقارنهن بالتماثيل القديمة وتماثيل كليوباترا، كان حي الموسكي قد استوقف نظر نرفال بصفة خاصة كما اهتم بمتاجر القاهرة ومقاهيها، وحماماتها

[1]- مجلة الهلال المصرية، ع7، القاهرة، دار الهلال، 1975، ص 58-59.

وكانت الأسواق عرضا سخيا للألوان الزاهية كما وصف نرفال حمامات القاهرة وحرارتها التي بالرغم من شدتها فهي تريح المستحم.

أراد نرفال أن يقف على أسرار الحياة الشرقية، ومن ثم تخلى عندما وصل إلى القاهرة عن كل ما يمت إلى العادات الأوربية بصلة لذا استأجر منزلا وعمد إلى ارتداء الزي القومي لكي يندمج في الحياة المصرية اندماجا كاملا، وقد أعجب بالزي النسائي ووصفه بالسحر الغامض الذي يغطي مفاتنهن وقد احتلت المرأة مكانة هامة في "رحلة إلى الشرق" كما احتلت الاحتفالات والأعياد مكانا هاما في رحلة نرفال وخاصة عودة الحجاج التي وصفها بأنها مظهر مثير وسيمفونية ملحمية وأسطورية وشيء أشبه بالجيش الزاحف، كما تأثر بالاحتفال الشعبي بالمولد النبوي الشريف.

يعد كتاب نرفال أهم كتب القرن التاسع عشر والذي ظل محافظا على قيمته الأدبية والفنية[1] أما إذا تحدثنا عن شاتوبريان وعن رحلته من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس في الفترة الممتدة ما بين (1810-1811) نجده يؤول الأشياء تأويلا يتماشى مع انتماءه القومي، فيجعل من الحروب الصليبية نتيجة قيمة يستحقها العرب وليست عدوانا شنه الأوربيون عليهم ولا تختلف نظرة الشاعر الفرنسي لامارتين في كثير من الأحيان عن نضرة الرحالة الأوربيون الذين نقلوا إلينا صورا عن الشرق، إذ تبرز أحاديثه تحيزه ونظرته الدونية للشرق وجعله من ممتلكات

1-

أوربا مستقبلا بوصفه حقا أوربيا سيكون بشكل رئيسي من حق احتلال أرض وكذلك الشواطئ من أجل إنشاء إما مدن حرة هناك أو مستعمرات أوربية.[1]

وقد شكل الشعر العامي أو ما يسمى بالشعر النبطي ولهجات الجزيرة العربية مصدر اهتمام لكثير من المستشرقين والرحالة الأجانب وكان الفرنسيون منهم اهتموا بدراسة القصائد ففي سنة 1919 نشر كارلودي لاندبرج ثلاث سوالف بقصائدها جمعها أثناء تجواله في منطقة حوارن وفي الثلاثينيات من هذا القرن الميلادي نشر روبرت مونتان بعض السوالف والقصائد التي دونها من رواة شمر الجزيرة.

وبعد ذلك مرت فترة فيها الجهود الاستشراقية في مجال جمع دراسة الشعر النبطي وإن كانت نشطت بشكل ملحوظ فيما يتعلق بدراسة اللهجات.[2]

3. صورة المشرق عند الرحالة الألمان:

شهدت العلاقات بين الشرق والغرب إبان الدولة العربية في الأندلس والحروب الصليبية تحولا كبيرا وسمع أهل الغرب الكثير من أخبار الشرق العجيب القوي الغني، وأصبح كتاب الرحلات مطالبين بالإفاضة والإسهاب لإرضاء فهم القراء إلى التفصيلات التي ما لبثت مقاييس العلم بمعناه الحديث أن حكمتها وضبطتها.[3]

وتعتبر رحلة راوولف ليونهارت من أقدم الرحلات الأوربية إلى الشرق ذلك لأن هذه الرحلة وقعت في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي ومع أن الغاية التي استهدفها

[1]- ادوارد سعيد، الاستشراق، ط2، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1984، ص 186-192.
[2]- أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقون، ص 6، www.saadso.wayan.com
[3]- كارستين فيبور، رحلة مصر (1961-1962)، ترجمة: د. مصطفى ماهر، ج7، القاهرة، دار الكتب 4343، سنة 1977، ص 06.

"راوولف" من رحلته هذه هي النباتات والأعشاب الطبية التي تنمو في بلدان الشرق، إلا أن ما شهده خلال هذه الرحلة وما سمعه، أضفى عليها مسحة من المتعة وقدرا كبيرا من المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية مما يؤلف جزء لا يستهان به من تاريخ العراق وبعض البلدان العربية الأخرى في تلك الفترة المظلمة.

بدأ راوولف رحلته في اليوم الثامن عشر من سبتمبر سنة 1573م، من مدينة أوغسبرغ في هولندا متوجها إلى مرسيليا في فرنسا التي وصلها في اليوم الأول من أكتوبر ثم غادرها قاصدا الشرق، حيث رست به السفينة في ميناء طرابلس بلبنان وانتقل بعد ذلك إلى دمشق[1] وحلب أين أقام بها عاما كاملا مكنه من الإبصار بأمور هامة في العصر الأول للسيطرة التركية – كان عليه أن يترل أمام باب المدينة من فوق حصانه، فلم يكن مسموحا للمسيحيين بالدخول وهم على ظهور الجياد، وذهب إلى فندق الفرنسيين المقيمين هناك والذي اعتاد الألمان الترول به[2] ووجد بعض الألمان المقيمين هناك ووجد لهم قنصلا يحمي تجارهم ووصف بيوت المدينة بأسقفها المسطحة وأبوابها المنخفضة التي يضطر الإنسان إلى الانحناء إذا أراد الدخول منها، وذكر أن مدينة (حلب) تخلو تماما من المباني الأثرية وأن تلك صفة تشاركها فيها كثير من المدن السورية، ولم يذكر من بين البساتين القليلة والأماكن الترفيهية خارج المدينة سوى كشك للسلطان الأعظم كان يقيم فيه عندما يخوض الحرب ضد صوفية الفرس، ويعقد فيه مجالس شوراه، ووصف العادات والتقاليد، وصور الحياة العامة والخاصة للترك في حلب، ووصف حكومة الباشا، وتحدث عن تغيير الباشوات

[1]- ليونهارت راوولف، رحلة المشرق، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1978، ص 05.
[2]- انظر: كارستين نيبور، رحلة مصر (1761-1762)، ترجمة: د. مصطفى ماهر، ج7، القاهرة، دار الكتب 4343، سنة 1977، ص 07.

وحياة الترف التي تتصل في بلاطهم وحريمهم، وما يحتاجون إليه من أجلها من أموال كثيرة يحصلونها بالقهر والإكراه، ولا يستطيعون مهما أخذوا أنفسهم بالتغيير أن يجمعوا منها ثروة يورثونها أولادهم لأنهم عبيد السلطان، فإذا مات الباشا آلت أملاكه إلى السلطان كما يؤول الإرث إلى الوريث، ويرى راوولف هذا كله سببا لفساد الأمور في البلاد التي لا يقوم فيها مبنى كبير ولا تزدهر ثقافة ولا يبتنى قصر، ولا تنشط صناعة أو حرفة، ولكنه يذكر مع ذلك أن التجارة نشيطة والحركة متصلة لأن السلطان الأعظم نفسه يحمي التجارة من نزوات الباشوات، فموارد الجمارك والعطايا تتألف عمد الحكومة إلى مبالغ كبيرة ولا يحب السلطان تضييعها وهو بهذا يحمي التجار الأجانب وقنصلياتهم ويذكر أن القوافل كانت تأتي إلى هناك من فارس وأرمينيا ومصر والهند وأن كل أمة لها خان فندق بها تقيم وتتجر بضائعها ويصف ما رآه في متجر كبير من أقمشة نفيسة وحرير وفراء ويحدثنا عن الحلاقين والجراحين، أما صناع الأسلحة والعربات فقد بحث عنهم فلم يعثر لهم على أثر.[1]

هورنمان فريديريك (1797-1798) من القاهرة إلى مرزق:

رحل هورنمان مع قافلة إلى مرزق متنكرا في شخصية مسلم في طريق طويلة مع قافلة متوجهة إلى فرات متمثلة في عاصمتها مرزق، فيصف مشاهداته وأحوال الطريق والأراضي التي يمر بها ويتحدث عن الأقوام الذين يمر بهم وعاداتهم وأحيانا يذكر شيئا عن تاريخهم ويوضح المخاطر التي كانت تعترض المسافرين في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ويفرد الرحالة جزء هاما من يومياته لمدينة مرزق في حديث شيق عن بساتينهم وأهلها وسلطانها وعن عادات الناس وطبقاتهم

[1]- رحلتان عبر ليبيا رحلة هورنمان والراند جوردون اينج، ط1، نقله إلى العربية دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1984، ص 05-06.

ومآكلهم ومشربهم وملبسهم آنذاك، وكان هورنمان يريد الوصول إلى نهر النيجر، لأن هذا النهر كان يعتبر لغزا محيرا آنذاك.

ويغادر هورنمان مرزق بعد إقامة طويلة فيها، ويتجه إلى دواخل إفريقيا ولكنه يقضي نحبه دون معرفتنا التفاصيل الدقيقة لموته... ، لقد شكلت دواخل إفريقيا لغزا محيرا لدى العديد من الرحالة الأوربيين وقد تشكلت في بريطانيا جماعة صغيرة من الرجال بقيادة السير جوزيف بانكز "Sir Joseph Banks" رئيس الجمعية الملكية ترى أن استمرار الجهل بدواخل إفريقيا عار على جبين عصرهم لابد من إزالته بالطرق والوسائل الفعالة.

فكون هؤلاء في 09 جويلية 1788 جمعية أطلقوا عليها اسم "الجمعية الإفريقية" "African Association" وقد شدت هذه الجمعية اهتمام كل من جون ليديار " John Ledyard" وسيمون لوكاس "Simon Lucas"، كان ليديارد أمريكيا تحدوه رغبة في أن يصبح اسمه مقرونا بما يكتشفه من المجهول، أما سيمون لوكاس فكان قد قضى ثلاث سنوات من سنين شبابه عبدا في مراكش، رحل إليها بعد خلاصة كمساعد للقنصل البريطاني وقد أسندت إليه مهمة اختراق صحراء الطهر Tahara الممتدة من طرابلس إلى فرات وهذا بحكم معرفته الواسعة باللغة العربية والحياة الإسلامية.

أما ليديارد فقد اتجه إلى مصر بعد 3 أسابيع من تكوين الجمعية، وفي القاهرة اتصل ليديارد بقنصل البندقية ونزل في دير مسيحي وشرع يتحرى عن الدواخل بين التجار وأسواق الرقيق وقد

وجد بأن للقاهرة تجارة مع سنار ودارفور وفرات لكن كل الآمال التي أحياها عند مستخدميه سرعان ما تبددت عندما جاءت أنباء موته في القاهرة بعد إصابته بالكبد.

وكذلك كان سيمون لوكاس مصدر خيبة أمل للجمعية وصوله إلى طرابلس في أكتوبر سنة 1788 استطاع الحصول على ترخيص من الباشا للسفر إلى فرات بحجة الرغبة في رؤية الآثار الرومانية وجمع مجموعة من الأعشاب العلاجية التي لا توجد في أوربا غير أن ثورة بدو الصحراء على الباشا جعلت رحيله مبكرا أمرا مستحيلا ثم انتعشت آماله عندما وصل شريغان من فرات إلى طرابلس مع قافلتين من الرقيق، وفي فبراير اتجه إلى ميناء مصراتة وعندما جاء شهر مارس معلنا اقتراب فصل الحر، قرر شريغان البقاء في الشمال حتى شهر نوفمبر ولكن لوكاس رجع إلى طرابلس ومنها إلى بريطانيا حتى وصلها في يوليو وهناك ترك العمل مع الجمعية وعين فيما بعد قنصلا عاما في طرابلس ولكن لوكاس كان قد جمع خلال إقامته الطويلة في طرابلس ومصراتة قدرا كبيرا من المعلومات الغير الموثوقة عن الدواخل ومع ذلك فقد أثبتت تلك المعلومات أن عبور الصحراء أشد خطرا من السفر في البلدان النائية جنوبا.

وقد قادت تقارير لوكاس الجغرافي الشهير الرائد (ميجور) جيمس رينل " James Renell" إلى اعتقاده بأن كتسينة هي المملكة المركزية في قلب إفريقيا.

فريديريك كونراد هورنمان:

ولد هورنمان سنة 1772 وتخرج سنة 1791 كرجل دين من جامعة جوتجن Gottinen بألمانيا، ولكنه كرس جهده فيما بعد لدراسة جغرافيا إفريقيا وإعداد نفسه كي

يكون من المكتشفين وفي سنة 1795 ليشهد بدء جهوده الاستكشافية إذ سعى للحصول على تزكية للجمعية الإفريقية من الدكتور جوهان بلومنباخ Johann Blumenbakh زميل الجمعية الملكية وصديق السير جوزيف بانكز.[1]

وافقت الجمعية الملكية وصديق هورنمان ومنحته فرصة الرحلة وقد وصل إلى باريس وقد استقبله في العاصمة الفرنسية اثنان من زملاء الجمعية الملكية استقبالا حارا هما الفلكي جوزيف لالند Joseph Lalande وعالم النبات بيير بروسوني Pierre Broussonet، وقام عن طريقهما بالتعرف على كثير من المصادر الإفريقية لكن أيا منهما لم يبرهن على كبير المساعدة له مثلما قدمه له تاجر تركي من طرابلس صدف أن كان بباريس في ذلك الوقت.

كان هورنمان متشوقا لمغادرة ليون ليتوجه إلى مرسيليا على وجه السرعة على أمل إيجاد سفينة مبحرة إلى الإسكندرية وعندما وصل مرسيليا في أغسطس لم يجد سفنا متجهة إلى الإسكندرية لذا اضطر للسفر إلى قبرص ومنها تيسر له الإبحار إلى الإسكندرية حيث وصلها في 13 سبتمبر، وفيها قضى عشرة أيام في ضيافة جورج بالدوين George Baldwin القنصل البريطاني، ثم سافر إلى القاهرة عن طريق رشيد، حاملا رسائل تعريف من بالدوين.

لقد افتتن الرحالة الشاب بجمال نهر النيل، ولكن فقر أهله كان يغيم على تلك الفتنة، فكتب يقول: "كان أسفي شديدا عندما رأيت في هذه الحقول البهيجة والبلد الذي يمكن أن يعتبر أحد أسعد بلدان الدنيا، شعبا يئن تحت ظلم حكامه".

[1]- انظر المرجع السابق، ص 16.

عندما وصل هورنمان القاهرة في الربع من أكتوبر وجد جميع الأديرة تعج بالنزلاء، فنزل في مثوى مؤقت على أمل الانتقال إلى دير مجمع اليبشير الذي تعرف إلى رهبانه وتصادق معهم... ثم شرع بجمع المعلومات الممكنة على الدواخل ولم يجد لدى الأوربيين الآخرين اهتماما بسبب وجوده في القاهرة مما سهل عليه تكتمه على سره.

وفي القاهرة تعثر حظ هورنمان، ففي أبريل وقبيل موعد رحيله إلى فرات، انتشرت موجة من الطاعون أجبرته على البقاء، حيث كان وألزمته منزله لا يستطيع مغادرته، وكذلك تجمدت محاولته الثانية لمغادرة القاهرة بعد أن فشلت محاولة إرسال نقود لتمويل رحلته، ثم إنه عندما واتته فرصة نيل ما يحتاجه من مؤسسة تجارية فرنسية وتجهز للسفر، جاء غزو نابليون لمصر، فاحتل القاهرة في الخامس والعشرين من يوليو ولكن هذه الظروف الجديدة التي هددت فرصة هورنمان انقلبت لصالحه، فعندما قدمه البعض للتعرف على نابليون وعده في خبث بتقديم كل المساعدة التي يحتاجها، وتعهد بتوصيل رسائله إلى لندن شريطة أن يكتب بالفرنسية وأرسل هورنمان إلى لندن حول هذا التحول المحظوظ في مهمته وأعلن توقعه الرحيل إلى فرات بعد أيام قليلة مع قافلة من الحجاج المسلمين العائدين من مكة.

شرع هورنمان في ديسمبر في رحلة العودة إلى مرزق، حيث وصلها في العشرين من يناير سنة 1800م، وفي الاجتماع السنوي للجمعية الإفريقية الذي عقد في ماي 1800 سجل وصول يوميات هورنمان عن رحلاته بين القاهرة ومرزق وعودة إلى ليونهارت راوولف فتقع رحلته في قسمين يتألف أولهما من تسعة فصول، ويبدأ الفصل الأول منها بخروجه من أوغسبرغ متوجها نحو

الشرق في حين يضم القسم الثاني ثلاثة وعشرون فصلا منذ أن هبط ميناء طرابلس قادما من أوربا ثم طوافه بسوريا والعراق، وعودته على سوريا ولبنان ففلسطين قبل رجوعه إلى وطنه في أوربا، وقد وصف هذه البلدان كما تراءت له في الواقع على الرغم مما ورد في ثنايا حديثه عنها من خرافات وأساطير، وانتقادات قاسية لم يكن لها من مبرر سوى جهله بأحوال البلاد التي زارها، وتعصبه لعقيدته ولقومه الأوربيين ليس إلا.

كما يعد يوهان غوته نموذجا خلابا لصلات الثقافية بين الشرق والغرب في أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19م، وقد كان الرجل واسع الثقافة بفضل أسرته فقد وضع له أبوه برنامج تعليمي ضم أكثر العلوم والديانات واللغات الحية (الفرنسية، الانجليزية والإيطالية) وبعض اللغات القديمة (اللاتينية والإغريقية) فضلا عن العبرية التي تعلمها والعربية التي حاول أن يتعلمها فألم بشيء منها.

يضاف إلى ذلك أنه لطلع على الآداب الشرقية كالهندية والفارسية التي كان لها أثر واضح خاصة في ديوانه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" الذي نقله إلى العربية د. عبد الرحمن بدوي، حيث رحل إلى الشرق رحلة روحية فكرية اغترابية كانت عميقة الأثر وفي نفسه بعيدة التأثير وسماها الهجرة، ثم نظم عام 1841 قصيدة بعنوان (الهجرة) كتبها باللاتينية واللفظ العربي ودعا نفسه إلى الهجرة إلى الشرق الطاهر الصافي لأسباب أهمها: نشدات المن والاستقرار في الشرق بعد أن تزعزع أمن أوربا واضطربت أحوالها بسبب الحروب الأوربية في القرن 19م.

سيادة المذهب الرومانسي في أوربا وانحصار الكلاسيكية ذات المقياس العقلي الثابت تقريبا.

بدء ظهور النزعة إلى الأدب العالمي وتوجه بعض الأدباء إلى أن يجعلوا من ألمانيا مركز لهذا الأدب العالمي وكان أبرزهم غوته.[1]

اهتمامه الشديد بالظواهر الدينية، وقد جال في الديوان الشرقي جولات متفاوتة في أربعة أديان: الإسلام، المسيحية، اليهودية والمجوسية.

ميل حركة التنوير في عصره إلى التسامح وتبيين أهمية الأديان الأخرى غير المسيحية والإسلام خاصة إذا كان إلمامهم به أكثر من إلمامهم بديانات الهند والشرق الأقصى.

صلة غوته الروحية بالإسلام، فقد كان يكن احتراما كبيرا يتمثل في انبهاره بالقرآن وإعجابه بالرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أبان هذا في سيرته الذاتية (شعر وحقيقة).

إحساسه الكبير بقيمة القرآن اللغوية المتميزة.

قراءته لديوان حافظ الشيرازي وإعجابه به كثيرا.[2]

وكغيرهم من المستشرقين الأجانب اهتم الألمان بالجزيرة العربية ففي عام 1938م نشر المستشرق الألماني ج. هس J.J. Hess كتيبا يحتوي على حكايات وقصائد وعادات وتقاليد البدو وفي قلب الجزيرة العربية يحتوي الكتاب على مواد لغوية واثنوغرافية وأدبية ومعلومات أخرى تلقي بعض الضوء على حياة البادية،استقى هس مادته مشافهة من اثنين من البدر والذين التقى بهما في القاهرة.[3]

---

[1]- د. يوسف بكار، د. خليل الشيخ، الأدب المقارن، الوحدة السابعة، القاهرة، الشركة العربية للتسويق والتوريدات، جامعة القدس المفتوحة، 1989، ص 126.

[2]- انظر المرجع السابق، ص 127.

[3]- أدب البدر في كتابات الرحالة المستشرقون، ص 05. www.saadso.wayan.com

الخاتمة

الخاتمة:

وهكذا شارفت رحلة البحث على النهاية، بعدما اتبعنا المنهج الوصفي لتوضيح ما رآه الرحالة من البلاد الأخرى، وتحليل العقلية الغربية والكشف عما تكنه من عداوة للشرق توصلنا إلى النتائج التالية:

أولا:

في ظل العلاقات بين الشرق والغرب وضع كل منهما خطابا عن الآخر، فالغرب خلق لنفسه شرقا وشكله وفقا لما يتماشى مع رؤيته العنصرية، والشرق خلق غربا انطلاقا مما هو موجود، لأن الغرب يهدف من وراء ذلك إلى الهيمنة والسيطرة والاستيطان والسلب والنهب، بينما الشرق فقصته مغايرة للغرب تماما هو ينادي إلى السلم والحوار.

ثانيا:

الرحالة يشرحون الصور التي كونها شعب ما في أدبه في بلد آخر، وينفي هذه الصور بين من صواب وخطأ، ويشرح أسباب الخطأ فيها، ويدعو إلى وضع البلد أو الشعب موضعها الصحيح من أفكار الأمة وأدبها.

ثالثا:

على الرغم من اختلاف اللغات إلا أن هناك إيمان وثيق بما أفادهم التاريخ من أن كل أدب لا يستطيع أن يعيش بمعزل عما سواه من الأدب دون أن يصيبه الوهن والذبول، ومن أجل نواحي الأدب العربي أن تعتمد في مصدرها على لقاح أجنبي تساعد على

ازدهار تلك النواحي في الأدب ويساعد على فهم الأمة لنفسها برؤية صورها في أدب غيرها.

رابعا:

إن الدراسات الاستشراقية التي ركز عليها الغرب للتغلغل في أعماق الشرق والعالم الإسلامي تميزت بقصور نابغ من الرؤية المقيدة التي تظل عاجزة عن الانعتاق والتخلص من قيود الغرب الذي يقسم الحضارات إلى الغرب المتوفق والمتحكم والشرق المستسلم.

خامسا:

الغرب انطلق من تصوره للذات وللآخر أعاد تأويل وتشكيل الرموز والمعاملات لصالح الوعي التاريخي الغربي من خلال خطاباته الإيديولوجية والسياسية وفعله الاقتصادي والتكنولوجي التي تحسن تلطيف الكلمات والأفعال، التي تمارس عنفا على ثقافات الشعوب غير العربية ومن ثم تتحول الثقافة الغربية إلى نموذج في ذاته ويتحول إلى إبداع والممكن إلى ضرورة.

سادسا:

أطفئ أدب الرحلة على إنتاج أدبا غزيرا، رائعا أحيانا ومتوسط الجودة في أحاسيس أخرى يعكس حياتهم التي عاشوها في البلاد التي طافوا بها أو استقروا فيها والأشياء التي رأوها والأقاصيص التي سمعوها ثم حكوها لنا، فأخصبت الأخيلة ودفعت في شرايين الأدب بدماء جديدة، ثم ضاع الأصل وبقي الأثر أو سجلوها في أشكال عديدة

من الملاحظات، تجيء مجرد نقاط عابرة وسريعة، وتتدون بلا عناية كل ذلك ارتفع بأدب الرحلات إلى مصاف الأنواع الأخرى وأصبح هذا اللون من الكتابة طابعا مميزا للعصر الرومانسي، ولو أن شيوع الرحلة في وقتنا الحاضر وسهولتها أفقدها الطرافة والبهجة التي كانت لها من قبل.

سابعا:

جاء الاستشراق محملا بإيديولوجية غربية حاملة شعار التفوق الحضاري الذي امتلكته على أنه تفوق نوعي وكمي، إذا وضعت نفسها في مركز والآخر في الإطراف فأقصت كل ما هو خارج عن نمطها، وأصبح الموجود هو الغرب والموجود هو الشرق هذا الأخير الذي همش ووضح خارج التاريخ الإنساني.

وبالتالي ومن خلال ما أوردناه سابقا فإن أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات من أهم المصادر المعتمدة في الكشف عما يعرفه العالم اليوم عن حضارة الرق القديمة، فلم يكن يبالي هؤلاء الرحالة بالمخاطر التي كانت تعترضهم بل كان همهم الاطلاع والكشف.

فالعرب ورغم امتلاكهم لما يؤهلهم ليكونوا في الطليعة وفي المقدمة وفي بعض الجوانب إلا أنهم متواضعون بطبعهم وهذه سمة الشرفاء فلو كان العرب هم القوة الأولى في العالم اقتصاديا وتكنولوجيا وسياسيا لساد السلام والأمن وقلة الحروب لأن العرب قوم يحكمهم الإسلام المناهض للخير بجميع أقطابه، وفي الختام نختم بحثنا هذا بهذه السطر

"لكيبلينغ" حيث يقول: **"إن الشرق شرق والغرب غرب وفروق كبيرة بينهما هنا العلم والتكنولوجيا وهناك الوحي وخلاص الإنسان يمكن أن يلتقيا في مشروع إنساني للسلام".**[1]

[1]- يوسف مكي، قراءة في الاستشراق ما بين الحربيين العالميين، ص 31.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

1.المصدر :

القرآن الكريم .

2.المراجع :

1.محمد حسين فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، 1989م .

2.فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي (د.ط)ن الدار العربية للكتاب .

3.عبد اله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار العربية للكتاب، 1912م .

4.مصطفى عبد الغني: جسم الجمرات من أدب الرحلات، ط 01، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى 2001 .

5.د. حسني محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع .

6.محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة و دار الثقافة، ط 5، بيروت .

7.د. يوسف بكار و د. خليل الشيخ، الأدب المقارن، القاهرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات، جامعة القدس المفتوحة، 1989م .

8.الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه، ط 4، القاهرة .

9.د. احمد درويش: الاستشراف الفرنسي و الأدب العربي، (دط)، القاهرة، دار غريب للطباعة .

10.أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير، دار القصبة للنشر، 2001م .

11.رحلة ابن بطوطة: دار بيروت للطباعة و النشر، الطبعة الأولى .

12.كارستين فيبور: رحلة إلى مصر (1961م-1962م)، د. مصطفى ماهر، ج 07، القاهرة، دار الكتب .

13.حلمي صاري: صورة العرب في الصحافة البريطانية، (نقلة) رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق.

14.المولى إسماعيل: كلية الأدب، أدب الرحلة و التواصل الحضاري، سلسلة الندوات 1993م، مطبعة فضالة المغرب .

15.د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، ط 03، بيروت، المركز الثقافي، 1992م .

16.أدوارد سعيد الاستشراق، ط 02، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1984م .

17.ليونهارت راوولف رحلة إلى المشرق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، دار الحرية للطباعة .

18.الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غض الأندلسي الرطيب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت .

19.رحلتان عبر ليبيا: رحلة هورتمان و الرائد جوردون كينج، ط 01، دار القرباني طرابلس ليبيا، مكتبة الفرجاني .

20.يوسف مكي: قراءة في الاستشراق ما بين الحربين العالمين .

3.المجلات :

1.مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983 .

2.مجلة الهلال المصرية، ع 07، القاهرة، دار الهلال .

3.مجلة الرسالة، السنة الثانية .

4.الرسائل :

1.بورايو عبد الحفيظ: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، رسالة ماجستر، شعبة أدب الرحلات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2007م .

2.ليالي جباري: صورة الغرب في الرواية العربية (المشرق العربي نموذجا)، دكتورة الدولة في الأدب المقارن: جامعة قسنطينة 2005م .

5.بعض المواقع المعتمد عليها :

أدب البدو في كتابات الرحالة و المستشرقين .

www.soadsi.wayan.com .

الفهرس

الفهرس

مقدمة	
المدخل	
الفصل الأول: أدب الرحلات المفهوم و الأنواع و الأغراض و الأهمية	
1.مفهوم أدب الرحلات	
2.أنواع الرحلات	
2.أ.الرحلات الواقعية	
2.بـــ.الرحلات الخيالية	
3.أغراض الرحلة	
3.أ.دوافع دينية	
3.بـــ.دوافع علمية أو تعليمية	
3.جـــ.دوافع اقتصادية	
3.د.دوافع صحية	
3.و.دوافع أخرى	
4.البنية السردية للرحلة	
4.أ.الحدث	
4.بـــ.اللغة	

4.جـ.الراوي	
4.د.الزمان	
4.و.المكان	
5.أهمية الرحلات	
6.الأهمية المصدرية لكتب الرحلة	
الفصل الثاني: أدب الرحلات، دوره و علاقته بأدب الصورة و الاستشرق	
العلاقة بين أدب الصورة و أدب الرحلة	
مفهوم أدب الصورة	
أنواع الصورة	
الصورة السلبية	
الصورة الإيجابية	
دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق	
الاستشراق	
الفصل الثالث: رحلة ابن جبير و ابن بطوطة و رحلة المقري	
صورة المشرق في رحلات الغربين	
المدينة العربية في عيون الرحالة الأجانب	
صورة المشرق عند الرحالة الانجليز	

صورة المشرق في الأدب الفرنسي	
صورة المشرق عند الرحالة الألمان	
الخاتمة	
المصادر و المراجع	
فهرس الموضوعات	